

د. عبد الرحيم محمد السلوادي

الشواتي و الصوائف في الإسلام




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشواتي والصوائف في الإسلام

الدكتور

عبد الرحيم محمد السلوادي



ISBN 978-9957-05-158-7 (ردمك)

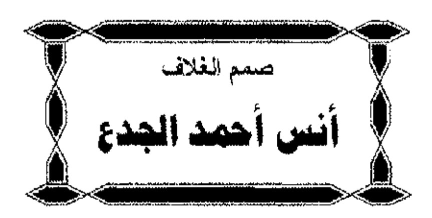
بسم الله الرحمن الرحيم

دار الضياء للنشر والتوزيع

عمّان – الأردن

محفوظة جميع الحقوق

١٤٢٨ - ٢٠٠٧



إهداء

إلــــى

❁ الذين بل الندى أجداثهم ، ونشر الصدى في أنحاء المعمورة أصواهم ، وعكست أشعة الشمس صور جهادهم إلى من جاء بعدهم .

❁ والديّ اللذين لم يخزني الله بهما ورضيا عني فأنارا دربي .

❁ قرة عيني ذريتي التي أسأل الله لهم الصلاح جميعاً .

❁ كل من ساعدني لإنجاز هذا العمل وإخراجه للناس .

❁ زوجتي التي كانت خير معين لي في غربتي وخير أنيس في كربتي .

المؤلف

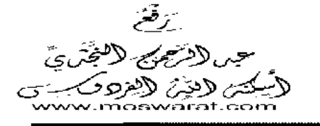
د. عبد الرحيم محمد السلوادي



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية ٢٠٠٧/٤/٩٨٩

٩٥٦
السلوادي ، عبد الرحيم محمد
الشواتي والصوائف في الإسلام / عبد الرحيم محمد السلوادي _ عمّان :
دار الضياء للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧
(١٦٤ ص).
ر.إ. (٢٠٠٧/٤/٩٨٩).
الواصفات : // التاريخ الإسلامي // الإسلام /
تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل ٢٠٠٧/٤/١٠٤١



المقدمة

شتا الأجداد وأصافوا ، فرحبت بهم الأرض ولانت تحت أقدامهم ، فزادتهم إقداماً على نشر دين الله ، ودانت لهم إمبراطوريات ذلك الزمان من فارس والروم وغيرهما من ممالك أقاصي الأرض ، فوصلوا إلى ما أملوه لتقر أعينهم برضاء الله عنهم .

رابط الأجداد على حدود الإمبراطورية الرومانية ؛ كي لا تزحف على ديار الإسلام ، فكان لهم السؤدد ، ومع اتساع المناطق التي فتحوها في تلك الحقبة ، فقد صيروا الكرة الأرضية قرية صغيرة نشروا فيها العلم وأناروا الدروب لأهلها بلا عولمة ولا علمانية ، فكانت الدعوة الإسلامية بما غرست من مفاهيم دستوراً ، وغدا القرآن بين الحق والباطل فرقاناً .

جاهد الأجداد في سبيل الله شتاءً وصيفاً ، فكانت لهم الشواتي والصوائف ، تحملوا العناء والجهد في سبيل الله فرحب بهم أهل المناطق المفتوحة ، فعمروا الأرض وزرعوا كي يحموا حدود الديار الإسلامية من الأعداء .

صار للأجداد دارٌ كانت قريبة من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، قريبة من دمشق وبغداد والفسطاط ، رغم بعد المسافات ، غرسوا العادات والتقاليد العربية الإسلامية ونشروا حضارتهم ، وغدوا جزءً لا يتجزأ من تلك المناطق التي طالما اشتاقت لهم ، ورحبت بهم ، فكأني بهم وبحال الأمة الإسلامية بين مدها وجزرها ، كما أقول :

كانت لهم دنيا تتوق وترحب
وغدت بنا حال تضيق وتتعب

لم تكن الشواتي والصوائف غريبة عني ، ولست بعيداً منها ، فقد عملت على تدوينها في معجمي المعروف " بمعجم الأعمال العسكرية الإسلامية " ، ولقد كان لتشجيع الأخ أحمد الجدع ودعمه حافزاً آخر للعمل على الكتابة في الشواتي والصوائف في كتابي هذا " الشواتي والصوائف في الإسلام " آمل أن أتم عملي هذا حتى أتمكن من نشر هذا الفن العسكري العربي الإسلامي ، كي أصل الجذور بالأغصان والفروع والأوراق ، وأفيد منه في عدة مجالات في حاضرنا ، وليكن نبراساً يضيء الطريق أمام الأجيال القادمة ، ولينتفع به طلاب العلم وذوو الحاجة إليه وذوو الاختصاص ، وأن أَسُد فراغاً كبيراً وثغرةً واسعةً في المكتبة العربية الإسلامية .

سائلاً المولى عز وجل أن أوفق في إخراج هذا السفر ، وأن يكون ثقيلاً في ميزان حسناتي .

والله من وراء القصد وهو حسبي

المؤلف

الدكتور / عبد الرحيم محمد السلوادي

عمان في ١٤٢٧/٦/٢٤هـ

الموافق ٢٠٠٦/٧/٢٠ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الفصل الأول

الشواتي والصوائف



أولاً : تعريف الشواتي والصوائف

أتناول في هذا الفصل الشواتي و الصوائف تعريفاً لغوياً ، ومفهوماً شرعياً، وتقليداً ازدهر في العصور الإسلامية ، وأختمه بتعريفات لها علاقة وثيقة الصلة بالشواتي والصوائف وأجعله على النحو التالي :

أ ـ الشواتي :

الشواتي جمع شاتية وهي من الشتاء وأصلها من الفعل شتا ، والشتاء جمع شتوة ، وجمع الشتاء أشتية ، وقيل : لا جمع للشتاء ، وأرجح ذلك وأميل إليه واعتقده الأصح ؛ لأننا نقول فصل الشتاء فصل واحدٌ مهما تعددت الشتوات فيه ومهما كثرت أو قلت ، وإذ نزل المطر في غير موعده نسبناه إلى ذلك الموعد فنقول مطر ربيعي أو صيفي أو موسمي ونحو ذلك .

والشتوة مصدر الفعل شتا بالمكان ، والنسبة إلى الشتاء شتوي ، وأشتوا : إذا دخلوا في الشتاء ؛ فإن أقاموا في المكان نقول شتوا[1] وقال الشاعر طرفة بن العبد :

حيثما قاظوا بنجدٍ وشتوا

عند ذات الطلح في ثني وقر[2]

ويقال : شتونا الصّمّان أي أقمنا بها في الشتاء وتشتينا الصّمّان أي رعيناها ، ويقال : هذه مشاتينا وهذا الذي يشتيني أي يكفيني لشتائي وقال طرفة بن العبد[3] :

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ٧ / ٢٩ – ٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٧ / ٢٩ .

(٣) طرفة بن العبد : الشاعر الجاهلي أحد شعراء المعلقات .

مــــن يـــك ذا بَـــتٍّ فهـــذا بَتّــي

مُقَـــيِّظٌ مُـــصَيِّفٌ مُـــشتّي[1]

وقال ابن بري[2] : والشتوي منسوب إلى الشتوة ، وقال ذو الرمة[3] في ذلك :

كـــأن النـــوى الـــشتوي يـــرفض مـــاءه

علـــى أشـــنب الأنيـــاب متـــسق الثغـــر[4]

وقيل : الشتاء بمعنى الجدب فنقول : شتا القوم يشتون أي أجدبوا ، وهو القحط لأن المجاعة أكثر ما تصيب الناس في الشتاء الباردة ، ولذا قيل :

إذا نـــزل الـــشتاء بـــدار قـــوم

تجنـــب جـــار بيـــتهم الـــشتاء[5]

ب ـ الصوائف :

الصوائف جمع صائفة ، وهي من الصَّيف ، وهي من الفعل صاف والصائفة الغذوة أوان الصَّيف ، والصَّيفية : الميرة قبل فصل الصيف ، وهي الميرة بعد الربيعية وصاف القوم ميرتهم في الصيف[6] .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ٧ / ٢٩ / ٤٥٤ .

(٢) ابن بَرِّي : أبو محمد عبدالله بن بري بن عبد الجبار بن بَرِّي المقدسي ثم المصري نحوي شافعي المذهب (رجب ٤٩٩ — شوال ٥٨٢هـ) قرأ الأدب على يد أبي بكر محمد بن عبد الملك ، وكان عالماً بكتاب سيبويه ، ياقوت الحموي : الإرشاد ، ٧ / ٢٨٨ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١١ / ٢١٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء، ٢١ / ١٣٦ — ١٣٧ .

(٣) ذو الرمة : غيلان بن عقبة بن بهيس قال فيه أبو عمرو بن العلاء افتتح الشعراء بامريء القيس وختموا بذي الرمة ، توفي بأصفهان سنة ١١٧هـ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٩ / ٣١٩ .

(٤) ابن منظور : مصدر سابق ، ٧ ، ٢٩ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ، ٧ / ٢٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ٧ / ٤٥٤ — ٤٥٥ .

والصيف مفرد أصاف وصيوف ، ويوم صائف أي يوم حار ، وربما قالوا : يوم صاف . والصَّيِّف : المطر الذي يأتي في الصيف وصفنا أي أصابنا الصيف ، وصفني هذا الشيء أي كفاني لصيفتي ، ومن ذلك قول الراجز :

مـــن يـــك ذا بـــتٍّ فهـــذا بـــتي

مقـــيظ مـــصيف مـــشتي[1]

وصفت الأرض فهي مصيفة ومصيوفة إذا أصابها الصيف وصيفنا كما قال أبو كبير الهذلي[2] :

ولقـــد وردت المـــاء لم يـــشرب بـــه

حـــد الربيـــع إلى شـــهور الـــصيف[3]

وصاف القوم دخلوا في الصيف ، وصافوا بمكان أقاموا فيه كما قيل :

فتـــصيفنا مـــاءً بـــدحل ســـاكنا

يـــشتن فـــوق ســـرائه العجلـــوم

والمصيف اسم الزمان .

---

(١) المصدر نفسه ، ٧ / ٤٥٤ .

(٢) أبو كبير الهذلي : هو عامر بن الجليس الشاعر من بني هذيل وإليهم ينسب جاهلي أدرك الرسول فطلب منه إحلال الربا له فأجابه : (أتمنى أن يؤتى إليك مثل ذلك قال لا ، قال : فارض لأخيك ما ترض لنفسك ، وذكر بنسب طويل عند ؛ الكلبي : جمهرة النسب ١٣٢ وكذلك ذكره ؛ ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، ٤ /١٦٥ ، ترجمة ١٩٦١ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ٧ / ٤٥٤ .

ثانياً : أهمية الشواتي والصوائف

انتشر الإسلام وكان الجهاد ذروة سنام الإسلام والسبب المباشر لانتشاره بعون الله وقوته وترتب عليه التوغل في الأرض من أجل نشر دعوة الله سبحانه وتعالى فكانت المرابطة وكانت الشواتي والصوائف فمتى بدأت ؟ ومتى انتهت ؟ وهل هي موجودة في أيامنا ؟ وهل نحن بحاجة إليها ؟ سأحاول الإجابة على هذه التساؤلات ؟ وأبين أهميتها .

يمكن القول أن الشواتي والصوائف بدأت في عهد الرسول ﷺ فكانت غزوة بدر[1] فقد كانت ليلتها ليلة ماطرة بقوله تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾[2] فأنزل الله على المسلمين المطر لحكمة أرادها[3] ، وليكن القتال للشواتي والصوائف أهمية كبرى في الجهاد ومقارعة الأعداء ، ومهما قيل في ذلك المطر وأن اختلف الفصل صيفاً كان أم شتاءً فقد كانت البداية التي استمرت في أيام الخلفاء الراشدين واشتهرت في العصر الأموي ، ثم العصر العباسي من بعده ، ثم بدأت مرحلة الضعف في حياة المسلمين إلى أن جمعت الخلافة العثمانية شملهم بعد تشتت وتجزئة ، إلى أن ضعف خلفاء هذه الخلافة، وأدرك أعداء الإسلام هذا الخطر الذي حصرهم ومنع نفوذهم في أراضيها ، وأيقنوا أن قوة هذه الأمة في تجمعها ووحدتها .

من خلال هذا التمهيد لا بد من الإشارة إلى أن المسلمين حققوا بواسطة الشواتي والصوائف انتصارات وفتوحات كبيرة ذكرتها كتب التاريخ فكان لها من الأهمية ما

(١) سبق ذكر المصادر التي تناولت غزوة بدر فلا داعي لتكرارها .

(٢) سورة الأنفال : الآية ١١ .

(٣) فصل إرادة الله في المطر ، ابن هشام : السيرة النبوية ، ٢ / ٢٥٥ ، ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير : ٢/٩٠ .

لا يخفى على ذي لب ، ولا ننسى أن طمع الأعداء في ديار الإسلام أيقظ لدى المسلمين السهر واليقظة مما جعلهم على أهبة الاستعداد لصد أي اعتداء يحدث ضدهم في أي وقت من الأوقات طوال أيام السنة فكانت الشواتي والصوائف .

بدأ الغزو الاستعماري الحديث فأخذ يمزق هذه الخلافة إلى أشلاء ، وأخضع كل أراضيها ليسطرته حتى لم تسلم عاصمتها من طمعه وسيطرته ، ووصلنا إلى ما وصلنا إليه من القوميات غير الفاعلة التي حلت محل الخلافة ، وتقزمت القوميات إلى أن غدت القطرية تحل محلها ، وصارت كل دولة صغيرة كانت أم كبيرة لها مقوماتها وعلاقاتها وإن ارتبطت في روابط هامشية لا أثر لها في هذا الكون فضاعت فاعلية الشواتي والصوائف ! فكيف السبيل للرجوع إليها وإعادتها لتكون درعاً واقياً للأمة؟ وهل بالإمكان إرجاعها لترهب عدو الإسلام والمسلمين ؟ وهل نحن بحاجة إليها في هذه الأيام ؟

تكالبت المصالح الاستعمارية على ديار العرب والمسلمين فهذا بلد محتل وآخر محتل بعضه وثالث مجزأ ، وتمزق طائفي داخل الدولة الواحدة ، ونعرات مذهبية، وفئوّية بغيضة ، وعنصرية صارت على مستوى المدن والقرى ، فهل بالإمكان العودة إلى عزٍ سلف وإلى وحدة مأمولة ؟ ونحن الآن أحوج ما نكون إلى ذلك !

إن السهر على حدود الأمة يتطلب إعداد الجيوش لحماية الأوطان والمرابطة على تلك الحدود والثغور وهذا يتطلب نظاماً عسكرياً قوياً يسهر صيفاً وشتاءً ، ويعيد لنا الشواتي والصوائف ، فنحن بحاجة إلى ذلك النظام العسكري الإسلامي لنكون أهلاً للانتصار ، وما النصر إلا من عند الله .

إن الشواتي والصوائف لعبت دوراً كبيراً في حياة المسلمين حتى جعلت الخلفاء وأبناءهم وكبار القادة يهتمون بها ويعدون العدة اللازمة لها من الرجال وما يحملهم ومن العتاد وما يلزمهم ، وكثيراً ما كانت كتب البشائر تحمل من الحدود إلى دور الخلافة لإبلاغهم بنتائج الانتصارات والغنائم التي حصل عليها المسلمون من أموال ومتاع وأسرى وسبي .

إن المتتبع لحركة الشواتي والصوائف يلمح أهميتها حتى أنه غدا لها نظام عسكري عند المسلمين وذلك واضح في العصر الأموي وفي الأندلس وفي النصف الأول من حياة الخلافة العباسية قبل أن تصل إلى مراحل الضعف . ففي هذه المرحلة من حياة الخلافة العباسية طمع الأعداء بها ، وأخذ زحف العدو على أراضيها من كل حدب وصوب ودبت الفتن فيها ، واستأثر حكام المناطق المنفصلة عنها يتولون أعمال الشواتي والصوائف إلى أن ضاعت الخلافة العباسية وضاعت المناطق المستقلة عنها ، فوهنت أوضاع الشواتي والصوائف في الوقت الذي كان المسلمون أحوج ما يحتاجون إليها .

يمكن القول في أيامنا الحاضرة أن ما يقوم به رجال الجيش من مرابطة على الحدود مع الأعداء أينما وجدوا والسهر على حدود البلاد العربية والإسلامية مهما اختلف العدو هو استمرار للمرابطة السابقة رغم خلوه من النفير العام ، بل هو من فعل الجيوش النظامية ، وما يحدث من عمليات عسكرية في فصل الشتاء والصيف استمرار للشواتي والصوائف التي بدأها رسول الله ﷺ ، إذن فالشواتي والصوائف موجودة في عصرنا الحاضر يقوم به رجال يسهرون على أمن الأوطان .

وللإجابة على التساؤل الأخير أقول بعون الله تعالى : نعم أننا بحاجة إليها وهي إن لم تكن من فعل الأفراد فهي من فعل الجيوش العربية والإسلامية ، وهي من واجبات هذه الدول الأساسية وقد خصصت وزارات تشرف على هذه الجيوش ،

وبإشراف مباشر من هذه الحكومات ، وبقوات متفاوتة القوة حسب ظروف وإمكانيات هذه الدول .

مما سبق يمكننا أن نبين الحقائق التالية :

١- سميت الشواتي نسبة إلى فصل الشتاء ، وهي الأعمال العسكرية التي يقوم بها المسلمون في هذا الفصل ضد العدو في أراضيه أو دفعاً لأذاه على الحدود .

٢- سميت الصوائف نسبة إلى فصل الصيف وهي الأعمال العسكرية التي كانت تتم في فصل الصيف ويقوم بها المسلمون ضد العدو سواء في أراضيه أم دفعاً لأذاه على الحدود .

٣- إن هذه الأعمال العسكرية إنما كان يقوم بها المسلمون واجباً جهادياً دينياً .

٤- إن كثيراً من هذه الأعمال كانت تحتاج إلى وقت طويل مما يدفعني للقول أنها كانت تتطلب الإقامة في مناطق العدو أو محاذية له ، وهذا يعني واجب التعايش في هذه المناطق والتفاعل معها بناءً ، وزراعة ، وما يترتب على ذلك من شؤون إدارية واجتماعية ونحوها .

وعلى ما سبق توضيحه أرى أن أوضح أمراً هاماً وهو أن هذه الأعمال العسكرية تتطلب في أول أمرها أمراً عسكرياً من دار الخلافة أو أذناً للقيام بذلك ، ثم أصبح هذا الأمر يؤخذ على عاتق حواضر تلك التخوم وفي كثير من الأحيان إذا عجز أهل الثغر عن الدفاع عنه أعانتهم دار الخلافة ، وكان هذا الوضع في أوائل العهد الإسلامي على التخوم، فكثيراً ما كانت تلبى دعواتهم حتى بدأ العدو يغزو الديار الإسلامية كما حدث في الحروب الصليبية على القدس فعندها صارت دار الخلافة عاجزة فلا حياة لمن تنادي .

ثالثاً : تعريف بمصطلحات الشواتي والصوائف

نظراً لأهمية هذا الموضوع أرى لزاماً عليّ أن أوضح بعض المصطلحات المتعلقة بالشواتي والصوائف ، محاولاً توضيحها على ضوء ما فهمته في هذا الموضوع ومن ذلك :

١- الأسطول : ويقصد به المراكب التي تعد لحمل الجيش في البحر ، ويختلف حجمها حسب استعمالها فهي إما إن تكون للرجال أو للتموين أو للدواب التي تحمل الرجال إذا ما نزلوا إلى البر .

٢- الإنابة : وهي حالة إنابة القائد قائداً غيره ليقوم بالمهمة الموكلة إليه من قبل الخليفة أو من ينوب عنه .

٣- التخوم : هي المناطق الحدودية أي الأراضي المجاورة لمكان تواجد العدو وسأقوم بتوضيحها في حينه .

٤- الثغور : وهي المناطق الحدودية وهي التخوم ولكن اسم الثغور غلب عليها نظراً لصفة ثباتها وكثرة الغزو فيها .

٥- الجريدة من الجيش : وهو قيام مجموعة من الجيش بدون أن تحمل معها المواد التموينية أو الأثقال وتكون محمولة على الخيل .

٦- الجهاد : وهو القيام بالأعمال العسكرية تلبية لأمر الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وأولي الأمر فيما بعد ، وله أقسام عدة لا داعي لها في هذا المجال وسأقوم بشرحه لاحقاً .

أقوم بتوضيح الطريقة التي يدير بها القائد المعركة وطريقة توزيع الجنود فيها وإدارة المعركة : وهي الطريقة التي يقود بها قائد المعركة ويديرها .

ويترتب على إدارة المعركة أن نوضح المصطلحات التالية :

١- الكردوس : وهو تجمع الجنود في مجموعات من الأفراد يقاتلون مع بعضهم البعض ومجموعه كراديس .

٢- القلب : وهو تجمع الجنود في الوسط وكأنها طير قلبه في الوسط وله جناحان وقد يكون القائد في القلب ليتمكن من تمرير أوامره وسد ثغرات الجيش .

٣- الميسرة : وهو تجمع الجنود من جهة القلب اليسرى .

٤- الميمنة : وهو تجمع الجنود من جهة القلب اليمنى .

وقد يقاتل الجنود صفوفاً ، وقد كان الروم في معركة اليرموك يقاتلون صفوفاً يربط الجنود بعضهم ببعض .

أتناول الآن الأدوات التي تستعمل في المعركة مبيناً فيها أدوات القتال و أدوات القتال : هي الأدوات التي يستعملها المقاتلون في المعركة وسأحيط بأهم الأدوات المستعملة لا كلها ومنها :

- ترس : قطعة من الحديد تكون مدورة ولها مسكة من الداخل يمسك بها الجندي ويدرأ بها ضد ضربات سيف العدو .
- دبابة : آلة تصنع من جلد الجمال والأبقار تركب على عيدان خشبية يحتمي بها الجنود لإتقاء ضربات السهام والرماح .
- درع : وهو آلة من أسلاك الحديد يلبسها المقاتل تحت لباسه أو فوقه حسب الحاجة لمنع نفاذ السهام والرماح من أن تصل إلى صدر المقاتل .
- رمح : قضيب من الحديد مسنن الرأس طويل مختلف في طوله يلقي به الجندي على خصمه .

- السهم : قضبان من الحديد قصيرة تطلق من القوس على العدو ومنها ما يكون مسموماً ومنها ما يكون عادياً .
- السيف : آلة معدنية معروفة تختلف في طولها وشكلها ولها مقبض قوي وحد حاد يستعمل مباشرة بين الجنود .
- القوس : قطعة مقوسة من المعدن يربطها زرد أو مادة تسمح بالتمدد لشد السهم وتدفع به ضد العدو .
- المجانيق : آلة حربية لها ذراع يقوم الجند برمي الحجارة والنار بها على الأعداء .
- النار : قطع من الخرق مغموسة بمادة مشتعلة تلقى على أماكن تواجد العدو داخل المدن والقلاع لإحراقها وترويع جنودها وسكانها حتى يطلبوا الاستسلام والأمان .

٧- الحصار : هو من العمليات العسكرية وهو أولها بعد وصول العدو إلى المدن والقرى والقلاع ويعني الإحاطة بالمكان واتخاذ المواقع حوله استعداداً لضربه أو احتلاله .

٨- الرماة : وهم الجنود الذين يحملون السهام لرميها على جنود العدو .

٩- السرايا : مجموعات مختلفة الأعداد من الجيش الذي يسيره القائد فقد تكون قليلة كطلائع استطلاع أو كبيرة إذا كان الجيش كبيراً للتمويه على العدو أو التفرد به .

١٠- الطلائع : مجموعة من الجند يسيرها القادة لاستطلاع أمور جيش العدو وتلمس أخباره .

رابعاً : بواعث الشواتي والصوائف

بدأ الدين الإسلامي برجل واحد وهو رسول الله محمد ﷺ ، وهو المؤيد بالنصر من الله سبحانه وتعالى ، والتف حوله أناس عضداً له وهم الصحابة رضي الله عنهم

فصاروا جمعاً ،وجب عليهم نشر الدعوة الإسلامية ، واحتاج نشرها إلى الجهاد فجرت المعارك على مستوى ما بين مكة والمدينة ، ثم توسعت حتى عمت الجزيرة العربية .

اتسعت مناطق الجهاد والفتح فأصبح السير إليها يتطلب الوقت الكثير وقطع المسافات الطويلة ؛ مما جعلهم يقضون الفصول من أجل الوصول إلى مناطق العدو فيحلوا بها صيفاً وشتاءً فنشأ ما يعرف بالشواتي والصوائف ، فغدا لها نظامها وأسبابها وبواعثها !

خرج العرب المسلمون حاملين راية الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين من قلب الجزيرة العربية إلى أطرافها فوجدوا فيها أبناء جلدتهم ممن كان تحت حكم الرومان والفرس ، ولم يجدوا كبير عناء في التعامل معهم ، فدانت تلك المناطق لهم وسار كثير من أبناء تلك المناطق من العرب مع المسلمين فاتحين ، فضلاً عمن دخل الإسلام من أبناء هاتين الإمبراطوريتين .

امتدت الفتوحات الإسلامية إلى أفريقيا والأندلس غرباً ، فوجد العرب المسلمون الفاتحون جذوراً عربية في هذه المناطق من سكانها الأساسيين من قبط وبربر، ولو أن هذه الجذور بعيدة نوعاً ما فكل خلق الله من تراب لقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [1] .

ولقول رسول الله ﷺ :

((والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب)) [2] .

---

(1) سورة الروم ٣٠، الآية ٢٠ .

(2) حديث نبوي شريف ذكره ؛ أبو داود ، أدب ، ١١١ ، أحمد بن حنبل ، ٢ ، ٣٦١ ، ٥٢٤ ، نقلته من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ١ / ٢٦٧ .

ولما اتسعت الفتوحات في العصر الأموي وغدا العرب في بعض الأحيان قلة ، ودخل أصحاب المناطق المفتوحة في الإسلام ؛ ورغم اختلاف ألسنتهم وعاداتهم وتقاليدهم إلا أنهم أصبحوا بنعمة الله إخواناً في أمة إسلامية واحدة ، واستدعى هذا التوسع إلى المرابطة على حدود تلك المناطق المفتوحة لمقارعة الأعداء فيها شتاءً وصيفاً فكانت الشواتي والصوائف فما هي أسبابها وبواعثها ؟

يمكن القول أن الشواتي والصوائف تعود للأسباب والبواعث التالية :

١ ـ بعد المسافات :

عرفنا من خلال التمهيد السابق اتساع المناطق المفتوحة وبعدها عن دار الخلافة المدينة المنورة أولاً ثم دمشق ثانياً وأخيراً بغداد ، مما دعا إلى وجود جيوش إسلامية في المناطق النائية والقريبة من أرض العدو ، وهذا الأمر أدى إلى وجود جيوش رادعة لجيوش الأعداء التي كانت تستغل الفرص للانقضاض على المسلمين في تلك المناطق ، وتطلب الأمر تسيير الجيوش الإسلامية بأوامر من دار الخلافة أو وجود قوات عسكرية قريبة أو متواجدة في تلك المناطق لتقاتل العدو في أي فصل من فصول السنة ومنها الشتاء والصيف مما أدى إلى غزوات الشتاء والصيف فكانت الشواتي والصوائف .

٢ ـ تلبية النداء :

كثيراً ما كان بعض المسلمين يتعرضون للإعتداء من قبل العدو وخاصة مناطق الروم فكانت دار الخلافة تهب لنجدتهم وفي تاريخنا الإسلامي الأمثلة الكثيرة على ذلك أنتقي منها معركة عمورية [١] التي هب فيها المعتصم لنداء شراه العلوية وقيل هاشمية :

(١) عمورية : بلد من بلاد الروم ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤ / ١٥٨ .

(وامعتصماه) ، فكانت هذه المعركة في شهر رمضان سنة ٢٢٣هـ وقيل بل سنة ٢٢٢هـ وقيل سنة ٢٢٤هـ ، فقاتل من أجل تلك المرأة ويقال حتى خلصها من الأسر [١] .

فتلبية النداء تكون في أي وقت يحتاجه المسلمون فتكون شتاءً أو صيفاً .

وقد أشاد بهذه المعركة الكثير من الشعراء ومنهم :

أبو تمام إذ يقول :

يـــا يـــوم وقعـــة عموريـــة انـــصرفت

عنـــك المنـــى حفـــلاً معـــسولة الحلـــب[٢]

٣ ـ الجهاد :

قام الإسلام على خمسة أركان وقيل : سادسها الجهاد ((ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله لا يناله إلا أفضلهم))[٣] وقد عرفنا بدايات الإسلام في مناطق انتشاره الأولى ، وكان الإعداد والإستعداد للقتال في سبيل هذا الانتشار سهلاً ، وكان العرب متمرسين على القتال والحرب منذ جاهليتهم في تلك الحروب والغارات التي كان ميدانها مناطقهم المعروفة لهم ، وكذلك في عهد رسول الله ﷺ .

وفي عصر الخلفاء الراشدين سيرت الجيوش تترا إلى المناطق الجديدة ، وكانت موجات متلاحقة فتحت البلاد ونشرت الإسلام فيها ، ويجب أن يفهم جلياً أن انتشار الفتح هذا لم يكن بالسيف وحده بل كانت إرادة الله هي الأولى في ذلك مما يسر

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤ / ١٥٨ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ، ٣٩٢ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٣٠ — ٤١ ، القضاعي : عيون المعارف وفنون الخلائف (تحف) عبد الرحيم محمد علي ، ٢١٥ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥ / ٢٤٥ ، ٢٥١ .

(٣) الطبراني : المعجم الكبير عن طريق أبي أمامة ، (حديث صحيح) وقد ذكره السيوطي : الجامع الصغير ١/ ٦٦٣ برقم ٤٣٢١ .

من سماحة الإسلام ووسائل إقناعه ، فحببه إلى قلوب الناس من أهل تلك البقاع ، واقتنعوا به ودخلوا فيه زرافات ووحدانا ، وقبل أن يبدأ دور السيف كان قادة المسلمين الفاتحين يخيرون أهالي تلك البلاد بين واحدة من ثلاثة : إما الإسلام ، أو الجزية ، أو الحرب والقتال وكثيراً ما استجابوا للإسلام .

سأتناول أدلة الجهاد في سبيل الله على ضوء القرآن الكريم ، وعلى ضوء السنة النبوية الشريفة بما يناسب هذا الموضوع ، وأبدأ بالأدلة من القرآن الكريم :

أ ـ من القرآن الكريم :

أمر الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز في كثير من الآيات القرآنية الكريمة بالجهاد ورغب فيه وحذر من التخلف .

ومن ذلك على سبيل الاستئناس بما يوافق هذا البحث :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ (٢)

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (٣)

(١) سورة التحريم ، ٦٦ ، آية ٩ .
(٢) سورة التوبة ، ٩ ، آية ٤١ .
(٣) سورة الحجرات / ٤٩ ، آية ١٥ .

إن أمر الله سبحانه وتعالى جاء لرسوله ﷺ ليكون الفعل الأول منه ليكون قدوة للمسلمين، وليعلمهم الجهاد عملياً مبتدئاً بنفسه، وليشرع لهم خصائصه ، وهو المؤيد من ربه سبحانه وتعالى . ثم جاء الأمر من الله للمسلمين كي يفهموا ويعرفوا أن الدين لن ينتشر أو ينتصر إلا بالتضحية في أي حال من أحوال المسلم من يسر ، وعسر، وقوة وضعف ، بعدته واستعداده ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ (1) .

ومن جهة أخرى فقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من الآيات التي تناولت النهي عن التخاذل وعدم الخروج للجهاد ، وتصف أحوال المتخلفين عنه ونأخذ منها ما يناسب هذا البحث ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ (2) .

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ (3) .

وقوله تعالى :

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ (4)

---

(1) سورة التوبة ، ٩ ، آية ٤١ .

(2) سورة التوبة ، ٩ آية ، ٨٦ .

(3) سورة التوبة ، ٩ آية ، ٢٤ .

(4) سورة التوبة ، ٩ آية ، ٨١ .

وقوله تعالى :

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ (٢)

ولقد حذر القرآن الكريم من الهرب من المعركة ونهى عن التولي يوم الزحف، وجعله من الكبائر ، بقوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ (٣) .

وقد ذم الله سبحانه وتعالى الهرب والهاربين من المعركة وجعل جزاءه الغضب من الله سبحانه وتعالى ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (٤) .

ومما سبق ذكره من الآيات الكريمة يظهر لنا ارتباط الجهاد بالقتال والثبات أمام الأعداء ولقد حوت هذه الآيات والآيات السابقة على الترغيب والترهيب ، فكان لثبات المسلمين في المعركة الأثر الكبير في كسر جيوش الإمبراطوريات ، بل وفي اقتلاعها من جذورها كما حدث لفارس والروم .

(١) سورة الفتح ، ٤٨ ، آية ١١ .
(٢) سورة التوبة ، ٩ ، آية ١١٨ .
(٣) سورة الأنفال ٨ ، آية ١٥ .
(٤) سورة الأنفال ٨ ، آية ١٦ .

ب ـ من السنة النبوية :

وإذا ما حلقنا في أجواء السنة النبوية الشريفة ، وجدنا أفعال الرسول الكريم ﷺ كلها جهاد ، ولا أدل على ذلك من مشاركته في الأعمال العسكرية التي بلغت تسعة وثلاثين[1] معركة وغزوة ، وإذا ما نظرنا إلى أقواله ﷺ فإننا نجد .

انَّ أقواله ﷺ كثيرة في هذا المجال[2] مما لا يتسع لها البحث وأتناول منها النزر اليسير لما يتلاءَم مع هذا البحث الذي مجاله الشواتي والصوائف وعلاقتها بالجهاد ومن ذلك :

تشجيعه ﷺ على الجهاد كما حدث في حفر الخندق عند ملاقاة كفار قريش عندما قال للمسلمين : ((اللهم أن العيش عيش الآخرة ، فأغفر للأنصار والمهاجرة)) — فأجابوا وقالوا —

نحن الذين بايعوا محمداً
على الجهاد ما حيينا أبداً[3]

وقوله ﷺ : ((الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة))[4] .

وقد روي عنه ﷺ في مجال فضل المجاهد لما سئل : ((أي الناس أفضل فقال : مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله))[5]

---

(١) ذكرت معارك ومغازي وسرايا رسول الله ﷺ عند ؛ الواقدي : المغازي والسير ، م ١ ، ٢ ، ٣ ، ابن هشام : السيرة ، ٢ / ١٧٠ — ٢٨٥ السيرة النبوية ، ٣ / ١ — ٢٨٣ ، ٤ / ١ — ٣١٧ . الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ١ /٥٢٥ — ٦٢٧ ، البخاري : صحيح البخاري ، ٥ / ٢ — ١٤٥ ، القناعي : عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف (تخف) عبد الرحيم محمد علي ، ٩٦ — ١٠٧ ، وقيل : غير ذلك .

(٢) البخاري : صحيح البخاري ، ٥ ، ٢ — ١٤٥ .

(٣) البخاري : صحيح البخاري ، ٣ / ٥٦ / ٣٣ ص ٢١٢ .

(٤) البخاري : صحيح البخاري ، ٣ / ٥٦ ص٢١٥ .

(٥) البخاري ، صحيح البخاري ، ٣ / ٥٦ / ٣ ص٢٠١ .

وقد أخبرنا ﷺ عن فضل المجاهد في الجنة فقال : ((إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله))[1] .

وفي الترغيب في الجنة بسبب الجهاد قوله ﷺ : ((اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف))[2] ، والجهاد واجب على كل مسلم كما قال رسول الله ﷺ : ((الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً))[3] .

ولقد نظر الصحابة نظرات متعددة كلها تشير إلى فضل الجهاد وأهميته في حياة المسلم ومن ذلك ما ورد عن ابن عباس : ((انفروا ثباتاً سرايا متفرقين))[4] .

ومن ذلك قول أبي هريرة : ((أن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات))[5] .

ومن ذلك سؤال لرسول الله ﷺ عن فضل الجهاد : ((نرى الجهاد أفضل العمل))[6] .

ومما سبق يمكن القول بكل ثقة أن الإسلام قام على الجهاد ، ومما لا شك فيه أن قتال الأعداء كان جهاداً في سبيل الله ، وأن الجهاد أشكال وأحوال منها الغزوات في عدة أوقات من السنة ومنها الشواتي والصوائف التي هي من المراتب العليا في الجهاد لما يتحمله المسلم في سيره نحو الأعداء من تقلبات طقس من برد وحر وتعب وعناء .

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، ٣ / ٥٦ / ٣ ص٢٠١ .
(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ٥٦ / ٢٢ ، ص٢٠٨ .
(٣) حديث حسن عند أبي داود وأبي يعلى ، ذكره السيوطي : الجامع الصغير ، ١ / ٥٦٤ .
(٤) البخاري : صحيح البخاري ، ٥٦ / ٢٧ ، ص٢١٠ .
(٥) البخاري : صحيح البخاري ، ٥٦ / ٢ ، ص٢٠٠ .
(٦) البخاري : صحيح البخاري ، ٥٦ / ٢ ، ص٢٠٠ .

٤ ـ الرباط :

اتسعت خطوط التماس بين المسلمين وأعدائهم على حدود المناطق المفتوحة فقد امتدت هذه الحدود من الصين والهند شرقاً حتى حدود أوربا غرباً وشمالاً مما استوجب وجود قوات ثابتة أو شبه ثابتة على هذه الحدود التي اشتهرت فيما بعد بالتخوم ، وتعاملت هذه القوات مع مناطق وجودها فاعلة ومؤثرة فيها .

وارتبط الجهاد والقتال ومقارعة الأعداء والتصدي لهم إذا اقتربوا من ديار الإسلام أو حاولوا الاقتراب منها بالرباط ، وقد اهتم المسلمون بالرباط صيفاً وشتاءً على الحدود مع الأعداء تلبية لأمر الله سبحانه كما صور في محكم آياته ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (1) .

فكان أمراً إلهياً وتكليفاً ربانياً وقد وصفهم سبحانه وتعالى بالمؤمنين بقوله في محكم التنزيل :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ (2) .

وقد شجع رسول الله ﷺ على الرباط مقابل الأعداء وأتناول في هذا البحث شيئاً من أقواله ﷺ ، ومن ذلك قوله ﷺ :

((رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها))(3) .

---

(1) سورة الأنفال ، ٨ ، آية ٦٠ .

(2) سورة آل عمران ، ٣ ، آية ٢٠٠ .

(3) حديث صحيح ذكره أحمد بن حنبل : المسند ، والبخاري : صحيح البخاري ، وغيرهما عن طريق سعد ، السيوطي : الجامع الصغير ، ٢ / ٦-٧ .

وقرن الرباط بالصيام ، بل وفضله على الصيام ومن ذلك :

((رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه))[1] و ((رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه))[2] و ((رباط شهر خير من صيام دهر))[3] و ((رباط يوم في سبيل الله يعدل عبادة شهر أو سنة صيامها وقيامها))[4] .

وأكتفي بهذا الشيء من الأحاديث النبوية الشريفة فقد حوت السنة النبوية على الكثير منها ، ونظراً لكون هذا البحث يتعلق بالصوائف والشواتي لذلك اقتصرت على ما ذكرت .

ويمكننا استنتاج ما يلي مما سبق من الأحاديث النبوية الشريفة :

١- تشجيع الإسلام على الرباط في سبيل الله استعداداً لمواجهة الأعداء .

٢- مقارنة الرباط ببعض أركان الإسلام ومنها الصيام .

٣- فضل الرباط على الصيام والقيام ، بل يزيد عنه كثيراً .

٤- شجع الإسلام المسلمين على الرباط كي يبقوا على حذر من أعدائهم وكي لا يأخذهم العدو على حين غرة .

لقد أخذ الرباط أوضاعاً متعددة في مناطق التخوم ، فمن المسلمين من رابط عدة أشهر في تلك المناطق ثم عاد إلى أهله إذا كانوا بعيدين عنه ، ومنهم من رابط لوقت قصير ثم عاد إليهم ، ومنهم أقام في تلك الحدود وصار جزءً منها ، وضرب أصنافاً من البطولات أمام الأعداء .

---

(١) حديث صحيح ، المصدر نفسه / ٧ .

(٢) حديث صحيح ، المصدر نفسه / ٢ / ٧ .

(٣) حديث صحيح عند ، الطبراني : المعجم الكبير ، المصدر نفسه ، ٢ / ٧ .

(٤) حديث صحيح عن طريق عبادة بن الصامت ، المصدر نفسه ، ٢ / ٧ .

ونظراً لاختلاف المدة التي كان يقيمها المسلمون من طول ومن قصر فإن ذلك استدعى قيامهم بأعمال عسكرية على هذه الحدود ، أو داخل أراضي الأعداء في كل فصول السنة ومنها الشتاء والصيف ، فكانت الشواتي والصوائف .

ولقد كان الرباط في عهد رسول الله ﷺ واضحاً عندما خرج للقاء الكفار من قريش يوم بدر في يوم الجمعة ١٧ رمضان سنة ٢ هـ ونام ليلته فأمطرهم الله شتاءً كاف سكينة لهم [(١)] .

ولقد سار الرباط في أول عهد الخلفاء الراشدين حسب رأي القادة الضاربين في أرض فارس والروم ، وكانوا يخبرون الخلفاء بذلك ، أو يؤخذ الأمر منهم ، أو يصدرون أوامرهم . وقد حدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخروج للقتال بما لا يزيد عن ستة أشهر كي لا يؤثر خروجهم على أوضاعهم الاجتماعية والعائلية ، وصارت الشواتي والصوائف بأمر الخلفاء الراشدين الذين يرسلون الجيوش الفاتحة شتاءً وصيفاً حسب مقتضى الحال وخاصة في العصر الأموي ، وكان الوضع مختلفاً في العصر العباسي وخاصة في النصف الأخير منه.

٥ ـ أوضاع العدو وتحركاته :

إن الباعث المهم في تحديد الشواتي والصوائف هو مواعيد تحركات العدو على الحدود فإذا قوي أمر الأعداء العسكري ، أو شعروا بانشغال المسلمين ، أو ضعفهم وخاصة في المناطق المتاخمة لهم على الحدود أو في دار الخلافة ، أو فراغ بعض المناطق

(١) الواقدي : المغازي والسير ١ / ٢٣ / ١٤٤ — ١٥٢ ، ابن هشام : السيرة النبوية ، ٢ / ١٨٦ — ٢٥١ ، ابن قتيبة : المعارف ١٥٢ — ١٥٣ ، ١٥٥ — ١٥٧ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢ / ٥٣٣ — ٥٥٦ ، القضاعي : عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف (تحف) عبد الرحيم محمد علي ٩٦ — ٩٧ .

الحدودية من الجيش ، فإن الأعداء يأخذون في التحرك وفي غزو مناطق المسلمين للاستيلاء على بعض المواقع والحصون ، وكانت غارات العدو في فصول متغيرة من السنة ومنها الشتاء والصيف حسب الظروف والحاجة لذلك وحسب استعداد المسلمين للرد عليهم .

ومما يجدر التنويه به أن ازدياد قوة العدو لم تكن رهناً بأوضاع المسلمين في تلك المناطق بل حسب أوضاعهم السياسية الداخلية . وعلى الجهة المقابلة فإن ازدياد قوة المسلمين الحدودية أو زيادة قوة بعض القادة كان من الأسباب الداعية للقيام بالأعمال العسكرية في مختلف مناطق الثغور ، وحسب هذه القوة كان المسلمون يتوغلون في أرض العدو حتى الأعماق كما حدث في غاراتهم وفتوحاتهم في مناطق أرمنية التي كانت سجلاً كبيراً للأعمال العسكرية الإسلامية ومثار قلق وإزعاج لأهلها وكانت غنائم المسلمين وفيرة جداً في هذه المناطق . ولا يعني ذلك أن النصر كان دائماً حليف المسلمين في بل الأحوال وقد واجهوا كثيراً من الصعوبات منها برد الشتاء القارص وحر الصيف القائظ .

وخلاصة القول فإن الشواتي والصوائف كانت من ديدن المسلمين كي يرهبوا العدو فيمنعون اعتداءه على المسلمين ، وهي وإن خضعت لعدة عوامل وبواعث فإنها كانت المحبس الحساس للأعداء وهي الرادع لهم ؛ حتى إذا ما ضعف المسلمون وقلت هيبة الخلافة في بغداد كانت الردة عليهم فضاعت حضارتهم على يد المغول والتتار وتقلصت أراضيهم واستولى الأعداء عليها كما في الحروب الصليبية .

٦ ـ الأوضاع الاقتصادية :

يبدو أن هذا الباعث على درجة عالية من الحساسية وخاصة في نظر أعداء المسلمين الذين عدوا الأوضاع المادية والاقتصادية للمسلمين الباعث الأول لخروجهم للقتال ؛ ولذا فإنني سأوضح في هذه الزاوية المقصود من ذلك :

١- لقد كان الأعداء يقومون بالاستعداد والإغارة على أراضي المسلمين ، في كثير من الأحيان ما كانوا يستولون على المواقع ، ويغنمون الغنائم الكثيرة وقد يحتلون كثيراً من الأطراف الإسلامية ويأسرون ويأخذون الأموال والمتاع ، وقد دفع هذا الأمر كثيراً من الخلفاء والملوك والأمراء في مختلف العصور للردّ على الأعداء بالغارات والغزو فيغنمون ويسبون النساء ، الذراري ويأسرون الرجال ويعودون بالمال والمتاع .

٢- مما لا شك فيه أن بعض الملوك والقادة من كلا الطرفين كانوا يقومون بالغزو والأعمال العسكرية إما إلهاءً لعساكرهم حتى لا يتمردون عليهم وخاصة في مناطق التخوم الرومية . أو نظراً لقلة مصادر الأموال عندهم فيخرجون ويغنمون ويعود كل طرف لحاله .

ومن جهة أخرى فإن بُعد المسافات كان يتطلب حمل المواد الغذائية للجيوش وكذلك العلوفة — أي طعام الخيل والجمال – وسائر الدواب ، فكان القادة كثيراً من الأحيان يبقون في فصل الربيع يرتعون خيولهم وجمالهم وخاصة في المناطق القريبة من الأعداء ؛ ليكونوا على حذر منهم وليوفروا على أنفسهم العناء في حمل العلوفة .

ومن زاوية أخرى فإن الجيوش كانت تحتاج إلى أعداد من سلاح ونحو ذلك فكان القادة يمرون بالبلاد ، وكان على قادة تلك المناطق أن يوفروا الأموال اللازمة

للجيوش التي تمر من أراضيهم وهذا يتطلب إعداد الأموال ، والغذاء ، والتموين لهم والعلوفة . وهذا يتطلب التوقف في هذه المناطق فتحل الفصول ومنها الشتاء والصيف فتحدث الشواتي والصوائف إذا كانوا قريبين من أرض الأعداء .

ومما لا شك فيه أن الغنائم كثيراً ما كانت تغري بعض القادة من المسلمين ومن الأعداء فكانوا يقومون بالغزو والفتوح من أجلها ، غير أن هذه الغنائم ما كانت تتم لولا العمل على هزيمة الأعداء من كلا الطرفين ، آمل أن لا ينظر لهذا الهدف على أنه هو الأساس في جهاد المسلمين أو سيرهم في عمليات الفتوح .

ويبدو للمتبصر في الأعمال العسكرية ضد الأعداء ومنها الشواتي والصوائف،أنها كانت تتم حسب رأي القادة الفاتحين عندما يقتربون من العدو، وحسب تقديراتهم للأوضاع فقد يقيمون في فصل الربيع ويغزون في فصل الصيف وقد يقيمون في فصل الصيف والخريف ويغزون في فصل الشتاء وحسب برد وحر المناطق التي يريدون غزوها وقد يتحكم في وضع الشواتي والصوائف أعمال الحصار طول مدتها أو قصرها فضلاً عن قوة العدو وضعفه .

خامساً : الشواتي والصوائف في العصر العباسي

ومما يلفت النظر أن أمر الشواتي والصوائف تغيرت في العصر العباسي عنه في العصر الأموي فقد كانت الأعمال العسكرية تتم في أول العهد بأمر من الخلفاء أنفسهم ومنها على وجه الخصوص أيام هارون الرشيد في النصف من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ حتى جمادى الآخر سنة ١٩٣ هـ وقد سمى نفسه بالغازي الحاج [(١)] وكما في

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ١ / ٤٤٧ / ابن قتيبة الدينوري : المعارف ، ٣٨١ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك / ٨ / ٤٤١ وما بعدها ، القناعي : عيون المعارف (تحف) عبد الرحيم محمد علي ، ٢٠٢ – ٢٠٤ .

عهد المعتصم سنة ٢١٨ هـ وحتى سنة ٢٢٧ هـ [1] الذي لبى نداء المرأة السالف ذكرها في فتح عمورية .

وتغير الأمر فصار إلى الأُسر الحاكمة المسيطرة عليهم باسم السلاطين والملوك عندما تحكم فيهم العناصر الفارسية والتركية ، فصارت الشواتي والصوائف تخضع لعدة مبررات وأسباب منها :

أ- أوضاع السلاطين والملوك ، فهذا السلطان يمين الدولة محمد بن سبكتكين الذي تولى الهند وأخذ يغزو فيها صيفاً وشتاءً وكانت نتائج غزواته ترسل إلى بغداد لقراءة كتبه على الناس في المساجد[2] .

ب- أوضاع حكام المناطق إذا قوي عودهم واشتد أمرهم وأخذوا في التحرك العسكري شواتياً وصوائفاً وغزوا على عاتقهم وخاصة في الثغور الشامية كما بدا ذلك واضحاً في أمر بني عقيل وبني حمدان [3] .

ج- قرب السلاطين من بغداد والمناطق التي يتواجدون بها ، فإذا تذمر الناس من جيوشهم ساروا بهم إلى الغزو ، وقد كان السلاطين يقصدون بغداد للتنصيب أو الدعاء لهم أو الإشارة إليهم في الخطبة والتسمي بالسلاطين وأخذ الموافقة من الخليفة وأخذ الولاية فيما عدا ما يغلق الخليفة بابه عليه ، وكثيراً ما كانت جيوشهم تقدمهم أو تزحف معهم إلى بغداد فتزعج أهلها ، فيضطر السلاطين إلى الرحيل ويعملون على احتلال المناطق في طريقهم ويأخذون الأتاوة والعلوفة والإعانة ويسيرون إلى أرض العدو شتاءً أو صيفاً فتكون الشواتي والصوائف[4] .

---

(١) خليفة بن خياط ، مصدر سابق . المسعودي : مروج الذهب ، ٤ / ٤٢٢ / ابن حبان : السيرة النبوية ، ٥٧٥، القضاعي : مصدر سابق ، ٢١٤ — ٢١٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، م ٨ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، م ٨ وما بعده .

(٤) ابن الأثير : مصدر سابق ، م ٨ .

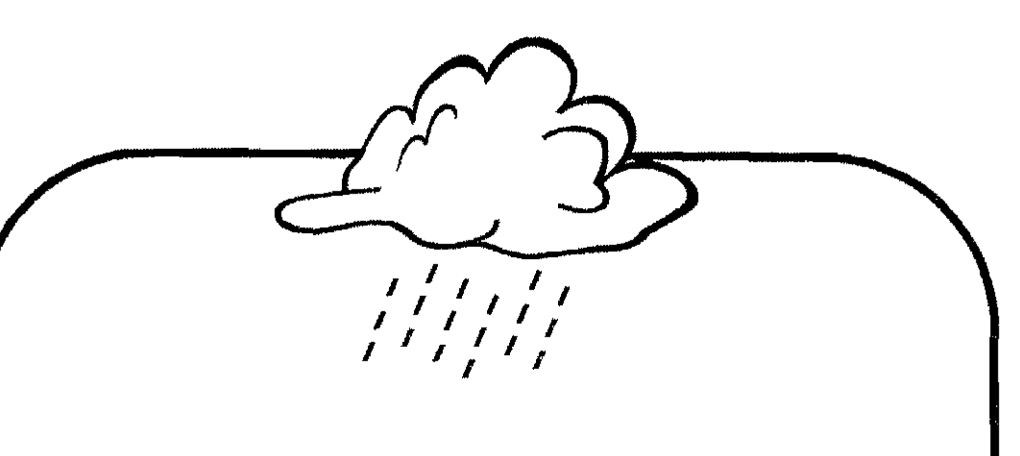
د- أوامر القادة لنوابهم ، كانت كثير من المناطق وخاصة المناطق الحدودية تحكم من قبل السلاطين والملوك والحكام والقادة العسكريين ، فكانوا في كثير من الأحيان ينيبون نواباً عنهم في حكم تلك المناطق ، وقد يأمرونهم بالسير إلى هذه التخوم لحراستها من الأعداء أو غزو تلك المناطق .

ومع ذلك فإن أمر الشواتي والصوائف منها اختلفت أوقات التحرك لها ، ومهما اختلفت الأوامر الصادرة بصددها فإنها استمرت إلى هذا الوقت من العصر العباسي .

هـ- أوضاع الدول المستقلة عن دار الخلافة ، ارتأت تلك الدول ومنها على سبيل المثال الحمدانيون وبنو عقيل والعبيديون في مصر والأمويون في الأندلس أن تظهر قوتها واستقلالها وتفرض هيبتها وسيطرتها، فكانت تقوم بالأعمال العسكرية حسب الحاجة الداعية إلى ذلك وفي فصول السنة المختلفة .

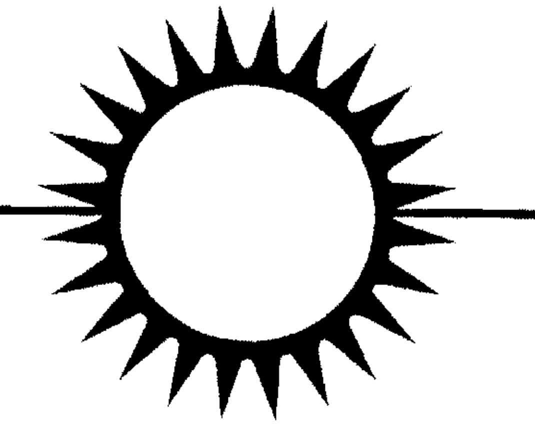
و- أوضاع الإمبراطوريات والمماليك المحيطة بالخلافة العباسية ، من المسلم به أنه لم يعد للخلافة العباسية أعداء في المناطق الجنوبية وانحصر الصراع في الأحقاب الأخيرة بين المسلمين والروم بشكل واضح ، وكذلك بين المسلمين وبقايا الممالك القديمة التابعة أحياناً للروم ، فضلاً عن المناطق الشرقية وكذلك مناطق الأندلس في هذه الفترة ، لأن دول هذه المناطق كانت تعيش أوضاعاً من الضعف والتراجع في العصر الأموي وأوائل العصر العباسي ، ثم أخذت تستعيد قوتها على حساب ضعف الخلافة الإسلامية وانقسامها ، وقد بدا ذلك واضحاً في المئتين الأخيرتين من العهد العباسي ، ولذا كان نجاح الصليبيين في احتلال مناطق كثيرة من الأراضي الإسلامية ، وكان المد الإسلامي آخذ في التقهقر فتعطلت الصوائف والشواتي لفترة طويلة من الزمن ثم عادت إبان الفتح العثماني .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الفصل الثاني

التخوم والثغور وأوضاع الشواتي والصوائف وقادتها





المبحث الأول : التخوم والثغور

تعريف بالتخوم والثغور :

قبل أن نتعرف على الثغور ومناطقها يجب أن نتعرف على التخوم نظراً لتكرار هذا اللفظ في كتب التاريخ أولاً ولخلط كثير من الناس بينه وبين الثغور .

فالتخوم مفردها تخم ويعني الفصل بين الأرضين من الحدود والمعالم ، والتخم كل قرية أو أرض[1] ، وتخوم الأرض حدودها والتخوم مفصل ما بين الكورتين والقريتين[2] ويقال : هذه الأرض تتاخم أرض كذا : أي تحادها .

وإذا ما انتقلنا إلى الثغور فأرى أنه لا بد من تعريفها لأنها مصطلح تاريخي سبق ذكره في بداية هذا البحث ، ونظراً لأهمية الثغور وعلاقتها بالشواتي والصوائف فأقول :

الثغور : جمع ثغر والثغر من الفعل ثَغَرَ ، وهو كل فرج في جبل ، أو بطن ، أو واد ، أو طريق مسلوك ، والثغرة : الثلمة ، ويقال : ثغرناهم : إذا سددنا عليهم ثلمة الجبل[3] .

والثغر : ما يلي دار الحرب ، والثغر موضع المخافة من فروج البلدان[4] .

والثغر : الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار[5] .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ٢ / ٢١ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ١٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢ / ١٠٣ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ، ٢ / ١٠٣ .

وخلاصة القول : فإن الثغور هي المناطق التي كانت تتنازعها القوات الإسلامية وقوات الأعداء في نهاية حدود كل طرف من هذين الطرفين ، وهي التي كانت تجري فيها الأعمال العسكرية من كلا الجانبين والتي كانت دار رباط المسلمين وفيها كانت تحدث الشواتي والصوائف بعد فتح البلدان على يد المسلمين .

وسأقوم بتقسيمها على ضوء ما كانت تجري فيها الأعمال العسكرية بين المسلمين وأعدائهم ليسهل التعرف عليها من خلال ذكر الشواتي والصوائف فما هي مناطق الثغور ؟

ثانياً : مناطق الثغور :

إن المناطق التي جرت فيها الفتوحات الإسلامية كانت أراضي الإمبراطورية الفارسية وما جاورها من وراء النهر ، والأراضي الخاضعة لنفوذ الإمبراطورية الرومانية مثل بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا فضلاً عن مناطق السودان والأندلس وكان ما يجاور هذه المناطق مناطق الثغور والتي يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسين وهما :

أ ـ الثغور الشرقية :

من المسلم به أن الفتوحات الإسلامية قد وصلت إلى أطراف الصين والهند شرقاً لكنهم لم يفتحوا كل تلك المناطق حتى نهايتها مما استوجب الحفاظ على تلك الحدود من أصحابها الأصليين الذين كثيراً ما كانوا يغتنمون الفرص لينقضوا على المسلمين فيمكن تقسيمها إلى :

١- ثغور الهند : وهي مجموعة من الممالك في بلاد الهند والتي تمكن المسلمون في أيام الخلافة العباسية من الوصول إليها وفتحها ولم يكن بها خطر كبير في ردة الفعل على الديار الإسلامية ولم يقوموا بأعمال حربية واسعة ضد المسلمين .

٢- الثغور التركية : وهي التي تقع شمال الهند مع أطراف الصين والتي سيكون لها دور في ردة الفعل على الخلافة الإسلامية في أيام الخلافة العباسية المتأخرة ويمكن

تحديدها بمناطق تركستان ومنغوليا وأطراف الصين ومن هذه المناطق سيكون سيطرة العناصر التركية على الخلافة العباسية وكانت تعرف بمناطق ما وراء النهر .

ب ـ الثغور الشمالية :

وتمتد هذه الثغور من الجهة الشمالية الشرقية شرقاً من حدود الخلافة العباسية إلى حدود فرنسا غرباً تقريباً ، ويمكن تقسيمها إلى الأقسام التالية :–

١– الثغور الشمالية الشرقية : وهي حدود روسيا جنوباً حالياً (وكانت تعرف بأرض الصقالبة) إلى حدود أرمينية ، وكانت الحركة فيها أقل نشاطاً من حدود الثغور الأرمينية .

٢– الثغور الأرمنية : وأعني بها الأراضي الأرمنية والتي تمتد إلى الحدود الرومية الجنوبية ، فقد كانت أرمينيا مناطق حروب بين المسلمين وأهلها وكانت تحوي على كثير من الممالك وأهلها ، واحتل المسلمون مناطق واسعة منها ، وقد واجهوا كثيراً من الصعوبات الطبغرافية والجوية من ممالكها ، ويبدو أن أسباب نشاط هذه المنطقة تعود إلى قوة وضعف هذه الممالك[١] .

٣– الثغور الرومية : وهي المناطق والتخوم التي كان للروم آثار سيادة فيها (بالتبعية كانت أم ممالك منفصلة عن الإمبراطورية الرومية ، ولذا كثيراً ما تردد في المصادر التالية ألفاظ الروم والرومية ، وقد استخدمتها كما وردت في مصادرها ، ويمكن تقسيمها إلى الثغور التالية :

---

(١) ذكر هذه الفتوحات بالتفصيل ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٧ / عدة مواضع ، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ١ ، ٢ / عدة مواضع ومن المراجع الحديثة ، د/ عبد الرحيم محمد السلوادي : معجم الأعمال العسكرية الإسلامية ٢ ، ٣ / عدو مواضع .

أ- الثغور الشامية : وهي الثغور المتاخمة لبلاد الشام والعراق أحياناً والتي تقع بعد مناطق ديار بكر وديار مضر وكان يسكن في هذه المناطق أو قريباً منها قبائل عربية مثل بني تغلب وبني عقيل والحمدانيون ونحو ذلك .

ب- الثغور البحرية أو الجزرية : وهي المناطق الجنوبية من تركيا حالياً فضلاً عن الجزر البحرية المنتشرة في البحر الأبيض المتوسط مثل سردينيا وأجزاء من إيطاليا ، وأعني بها المناطق المقابلة للمغرب العربي حالياً من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب .

٤- الثغور الشمالية الغربية : وهي مناطق شرق وشمال شرق الأندلس وهي الحدود الفرنسية الإسبانية حالياً والجزر المحاذية لها فضلاً عن أجزاء من البرتغال حالياً ، ويجب أن يفهم أن هذه الثغور كانت تمتد أحياناً إلى العمق في الأندلس وهي آخذة في التقلص والتمدد وحسب قوة الممالك القائمة في تلك المناطق وحسب قوة نفوذ ملوكها ، وضعف المسلمين في الأندلس وقد أفردتها ثغوراً مستقلة لاختصاصها بالأندلس المستقلة منذ عهد بعيد عن دار الخلافة العباسية .

ويمكن القول أن المسلمين كانوا يرابطون في هذه المناطق الواسعة وكان تأثيرهم يبدو واضحاً عندما يكون حكام تلك المناطق أقوياء فضلاً عن نجدة دار الخلافة في بغداد لأهالي تلك المناطق ، وينطبق على ذلك قوة الممالك في كل من زمن العبيديين وفي غرناطة زمن الخلافة الأموية في الأندلس إبان حكم ملوك الطوائف .

وأخيراً أود التنويه إلى أن هذه الثغور كانت تأخذ أسماء وتقسيمات خاصة بها وأحياناً حسب المعارك التي تقع فيها أو حسب المدن الموجودة فيها ، فمثلاً : ثغر ملطية نسبة إلى منطقة ملطية وقصبتها ملطية ونحو ذلك مما ينسب للعدو الموجود

فيها إذ نجد في كتب التاريخ مسميات منها أرض الروم وأراضي (الغزّ) الأتراك وغيرها من الأسماء وقد ترتب على هذه الثغور والتخوم المرابطة وانطبق عليها نظام الغزوات من شاتية وصائفة والتي هي ضمن حركة الجهاد الإسلامي[1] .

المبحث الثاني : أوضاع الشواتي والصوائف

أولاً : أنواع الشواتي والصوائف :

أتناول في هذا الفصل إعداد وتجهيز الشواتي والصوائف وطريقة سيرها مع ذكر لها دون التوسع فيها تسهيلاً على القارئ ، وأرى لزاماً على أن أوضح أنواع الشواتي والصوائف حسب أهدافها والغرض من سيرها ، وأوضح النقاط التالية :

أ ـ الشواتي والصوائف التي يسيرها الخليفة :

عندما كانت الأخبار ترد إلى دار الخلافة فإن الخليفة كان يعد العدة ويحرك القادة ويدعو إلى النفير العام ، فيقوم القائد المكلف أو من ينوب عنه بإعداد من لبى النفير وترتيبهم إما في فرق خاصة بهم ويكونوا تابعين للجيش ، أو تكون الشاتية والصائفة من النفير العام فيولي عليهم من يقودهم في فرق خاصة ، وقد ينضم إليهم من القرى التي يمرون بها فيكبر الجيش وتزداد تكاليفه .

ومن الجدير بالذكر أن تموين هذا الجيش يكون من خزينة الدولة أي من بيت مال المسلمين – حسب غنى الدولة وعمارة بيت المال ، وقد يتولى قادة المناطق التي

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٤ ، ٥ / عدة مواضع ، المسعودي مرور الذهب ٣ / ٤ / عدة مواضع ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٧ ، ٨ / عدة مواضع ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١١ ، ١٢ / عدة مواضع ومن المراجع الحديثة د/ عبد الرحيم محمد السلوادي : معجم الأعمال العسكرية الإسلامية ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ قيد الاصدار .

تمر به هذه الحملة تزويدها بالمال اللازم لاستمرارها فضلاً عن السلاح والدواب والعلوفة- أي المواد الغذائية اللازمة للأفراد والدواب .

وقد يستغل قادة هذه الحملات والجيوش الظروف المناخية فيستفيدون من عشب المناطق التي يمرون بها فيرتعون خيولهم ودوابهم فتقل الأعباء في توفير المواد ويقل العناء في حملها . ويكون ذلك بحساب دقيق ، ويكون حساب الشواتي والصوائف كحساب الغزوات العادية .

ب ـ الشواتي والصوائف التي يسيرها السلاطين والملوك :

ضعف وضع الخلافة وخاصة في النصف الثاني من حياة الخلافة العباسية، وكثيراً ما صار الخليفة ألعوبة في يد وزرائه أو سلاطينه ، وملوكه ، وضاعت هيبة الخلافة فلم يعد لها إلا الإسم ، ويمتد نفوذ الخليفة على دوره وقصوره وحريمه إذ إنه يولي السلاطين الخلافة كلها مع كامل صلاحياتها عدا ما ذكرت آنفاً ، وكان هؤلاء السلاطين والملوك من عناصر غير عربية بالتأكيد ، أما الوزراء والأمراء فقد يكونون في كثير من الأحيان من أصول عربية ممن لهم سطوة وصولة ، وكثيراً ما استنجد بهم الخليفة في دفع أذى الغوغاء ، أو تسديد بعض الفواتير .

على كل حال فإن هؤلاء السلاطين والملوك كثيراً ما كانوا يقومون بالغزو ، وفقط يقومون بإعلام الخليفة بنتائج أعمالهم العسكرية ، وكثيراً ما كانوا يحركون الجيوش فيغزون الشواتي والصوائف ، وكثيراً ما كانت المشاحنات والدسائس تقوم بينهم وبين وزراء الخليفة ، وقد تؤدي هذه المشاحنات والخلافات إلى سجن الوزراء إذا لم يقوموا بدفع حاجاتهم من الأموال اللازمة لتسليح جيوشهم أو تسيير الحملات العسكرية كافة من : شوات ، وصوائف ، وغزوات .

ج ـ الشواتي والصوائف التي كان يقوم بها نواب السلاطين والملوك والقادة :

كان الخليفة يقوم بتكليف أحد القادة بالغزو أو السير إلى أراضي العدو فلا يذهب هذا القائد لظروف إدارة أعماله ، أو ليبقى قريباً من الأحداث في بغداد ، فيجعل من ينوب عنه من قادة عسكريين يقومون بقيادة الجيوش من بغداد ، أو الحواضر القريبة منها ، ولما ضعف الخليفة ولم يعد له أمر ولا نهي تولى هذا الدور السلطان ، أو الملك أو بعض القادة المتنفذين في بغداد وما حولها ، وينطبق ذلك على الغزو .

وقد يكون لمثل هذه الأعمال العسكرية أهداف وأغراض منها إلهاء العساكر والقادة المتنفذين في تلك العساكر أو إبعاد الفوضى التي يثيرونها في بغداد ودرء خطرهم ، أو الحصول على أموال لسد حاجاتهم بما يكسبونه من العمليات العسكرية من شوات وصوائف .

د ـ الشواتي والصوائف التي يقوم بها حكام الثغور أو المناطق القريبة من العدو :

يمكن اعتبار حكام الثغور أو المناطق القريبة منها في كثير من الأحيان من المرابطين والمجاهدين في سبيل الله ضد العدو ، فكثيراً ما كانوا يتحينون الفرص فَيُسَيِّرون الجيوش حسب الحاجة إليها في أعمال فتح ، أو صد عدو ، أو إبعاد خطره، ومن الجدير ذكره أن قيامهم بهذه الأعمال من شوات وصوائف يقع على مسؤولياتهم دون الرجوع إلى دار الخلافة وما فيها من خلفاء وسلاطين وملوك ، ويكتفي في مثل هذه الأحوال بإبلاغ الخليفة أو صاحب الشأن بذلك فتقرأ كتبهم بالفتح في المساجد وقد تستغرق وقتاً طويلاً لوصولها .

ثانياً : مواعيد الشواتي والصوائف :

والأمور التي تتحكم في كون هذه الغزوة شاتية أو صائفة أو غزوة في أي فصل آخر ، عدة أمور منها :

١- القرب والبعد من الثغر المراد السير إليه ، فإن السير من بغداد قد يستغرق عدة شهور للوصول إلى ذلك الثغر إن كان بعيداً عن دار الخلافة .

٢- موعد تحرك العدو على الديار الإسلامية ، فقد يتحرك العدو نحو الديار الإسلامية في فصل الربيع فيصل الجيش في فصل الصيف فتكون الصائفة ، وقد يتحرك في فصل الخريف أو الصيف فيصل الجيش في فصل الشتاء فتكون الشاتية .

٣- وجود المرابطة في الثغر فإذا كان المرابطون في الثغر قريبين من العدو ففي حال تحركه يتصدون له ، أو في حال شعورهم بوجود عورة للعدو أو ثغرة فإنهم يسيرون إليه ، وقد يكون سيرهم إليه شتاء فتسمى شاتية وقد تكون صيفاً فتكون صائفة . ومن المعلوم أن المجاهدين المرابطين في جل الأحوال يكونون تحت أمرة والي ذلك الثغر وقائده فيحركهم أنى يستدعي الأمر ذلك ، وقد تتوغل قوات المرابطين من أرض العدو فتصل إلى الأعماق وقد تكون على حصن أو قلعة ممن يعمل على إيذاء المسلمين وقد تكون غارات مفاجئة لكل من الطرفين فلا تدوم كثيراً بل تكون لبضع ساعات أو أيام قليلة .

وقد يمر الجيش الذي قدم الثغر من مناطق بعيدة تكون خاضعة لسلطان أو ملك فيأمر ممثله في تلك المناطق بتزويد الجيش بما يحتاج إليه من الميرة والعلوفة والأموال اللازمة .

ثالثاً : تشكيل جيوش الشواتي والصوائف :

أشرت إلى أن الشواتي والصوائف كان يدخلها المتطوعة وأود الإشارة إلى تقسيمها وأماكن أهدافها وإلى تكوينها على النحو التالي :

أ ـ الشواتي والصوائف النظامية :

وهي تتكون في جل الأحيان من العساكر والجيوش النظامية وهي من جيش الخلافة التي يكلف الخليفة قائده بالجهاد وقتال الأعداء ، وبدا ذلك واضحاً إبان الخلافة الراشدية وصار جلياً إبان الحكم الأموي ، وفي بداية الخلافة العباسية ، ولما صار للسلاطين والملوك دورٌ بارز في الحكم والأوضاع السياسية ، برزت الجيوش التابعة لهم والتي كانت جلها من العناصر التي هي من نفس عنصر السلطان أو الملك، ومن دخل في الولاء له كالغز الأتراك ، أو أنواع العناصر الأخرى التي كانت في ديار الخلافة الإسلامية ، وكان لهذه الجيوش نظامها الخاص بها ورواتبها وتدور كلها في فلك السلاطين وكانت تأتمر بأمرهم حتى في خلع الخليفة أو وضع خليفة آخر غيره .

ب ـ الشواتي والصوائف التي تتكون من المتطوعين :

قد يكون الخطر في ثغر من الثغور أو قرية حدودية فيهب الناس من أهل الثغر أو القرية مجاهدين في سبيل الله ، وقد يكون ذلك في فصل الشتاء فيسمى عملهم شاتية أو في فصل الصيف فيسمى عملهم صائفة .

وقد يدعو الخليفة أو السلطان أو يستنجد أهل الثغر بدار الخلافة ، فيقوم الناس من العاصمة و الحواضر القريبة طالبين الجهاد ، فيسيرون نحو الثغر الذي فيه خطر يحاربون الأعداء في فصل الشتاء أو الصيف ، وقد تكون في أي فصل فتسمى

غزوة ، ولا يعني ذلك أنه لم يكن هناك استعداد عسكري منظم يعد العدة لقتال الأعداء شواتياً وصوائف ، بل على العكس فقد كانت الحملات تعد إعداداً جيداً وتحضر لتقوم بالشواتي والصوائف لقتال الأعداء .

وكثيراً ما تكون الصوائف في البحر لقتال أهل الجزر والسواحل وخاصة في فصل الصيف حيث تقل أنواء البحر فيحمل المقاتلون وعتادهم وخيولهم في سفن تختلف في حجمها بين الصغيرة والكبيرة حسب الغرض التي أعدت له .

رابعاً : هيئة الشّواتي والصوائف :

ما ينطبق على الغزوات العادية ينطبق على الشواتي والصوائف في السير إلى المعركة ، وطريقة القتال ، وإدارة المعركة ، ونحو ذلك ، وأرى في هذا المجال أن أوضح هذه الأمور لأبين هيئة غزوة الشاتية والصائفة ، ومن ذلك :

أ ـ الإعداد قبل السير إلى أرض الشاتية والصائفة :

عرفنا في مقدمة البحث طريقة الاستعداد للخروج سواء كانت بالجيوش النظامية أم بالنفير العام من المتطوعين ، كما عرفنا طريقة الإعداد والترتيب والتزويد بالمال اللازم ونحو ذلك .

ب ـ السير إلى الهدف أو مكان المعركة :

كان القائد يسير في مجموع جيشه أو يجمعه في مكان ما ، ثم يلتحق بهم،وكان كثيراً ما يجعل عليهم من يقوم بترتيبهم ، فإن كان سلطاناً أو منابا من السلطان كان يسير وزيره أو كاتبه أو كلاهما معاً .

ثم يسير جاعلاً لهذه الحملة مقدمة تسبر له الطريق خشية قطاع الطرق أو عيون الأعداء ، وقد تبتعد هذه المقدمة أو تقترب من الجيش حسب الحاجة والظروف .

خامساً : قيادة الشواتي والصوائف :

أ- القائد العام : وقد يكون الخليفة نفسه أو السلطان في مرحلة لاحقة من حياة الخلافة العباسية ، ويأتمر بأمره نوابه من القادة ورجال إدارة الجيش .

ب- نائب القائد العام : وهو الشخص الذي يكون في حال وجود القائد العام أو غيابه، وتكون له السلطة المباشرة والاحتكاك المباشر مع قادة الفرق التي تسير معه وقد يكون له نواب لإدارة الحملة .

ج- قادة الفرق : قد يشتمل الجيش الواحد الذي يسير إلى أرض المعركة على عدة قادة لكل فرقة من الفرق المكونة لهذا الجيش وكل قائد مختص بفرقته ، ومن ذلك :

١- قائد فرقة الخيالة : ومهمته تختص بإدارة هذه الفرقة وتوفير مطالبها للخيالة وللخيل وهو الذي يأمرهم بالسير أو التقدم أو التأخر حسب الحاجة .

٢- قائد الرجالة : وأعني به القائد المسؤول عن فرقة الرجالة وله العلاقة المباشرة معهم ، ويأمرهم بالمسير وحط الرجال حسب مقتضى الحال ، وله علاقة مباشرة مع القائد العام أو نائبه .

٣- المسؤول عن تموين الحملة : ومهمته توفير الغذاء والعتاد وتأمين حاجة الجيش وسد ما يحتاجون إليه من خيام ، ودواب ونحو ذلك في حالة النقص .

د- الوزير : يرافق قائد الجيش أو السلطان ، ومهمته تدبير أمر السلطان ، والإشراف على تسجيل الغنائم ، وكل ما يتعلق بالحملة ، ويقدم النصح والإرشاد للسلطان ويبعد الدسائس عنه ، وإن كان السلطان ضعيفاً عمل بالتعاون مع بعض القادة على عزله أو اغتياله، غير أن المهمة الأولى له هي الإشراف المالي من مصروفات ، وواردات تدخل

على السلطان بما فيها جباية الأموال من القرى والمدن التي يمر بها، وعادة ما يكون في هذه الحواضر نواباً للسلطان ، فيقوم الوزير بمحاسبتهم وتوفير الأموال اللازمة للحملة أو للسلطان بالقدر الذي يستطيع ليبقى السلطان عنه راضياً ، وكثيراً ما يجعل السلطان عليه العيون كي يأمن عدم الخيانة أو التآمر مع القادة ذوي النفوذ في جيوش السلطان ، وكثيراً ما كان هذا الوزير من أصول عربية وقد يكون غير ذلك .

هـ- الكاتب : ومهمته تدبير أمور الجيش من سجلات لأسمائهم ولعائلاتهم ولأنواعهم خيالة كانوا ، أم رجاله ، ورفع حوائجهم إلى الوزير مباشرة لأنه يأتمر بأمره ، أو للقائد العام لأنه مرتبط به ، يوزع المصروفات والرواتب بعد الحصول عليها من الوزير ، ويسجل القتلى الذين استشهدوا في المعركة ونحو ذلك .

و- القاضي : يرافق كل حملة عسكرية قاضٍ ومهمته أولاً فض النزاعات إن وجدت ، وتقسيم الغنائم بين العساكر بعد أخذ حق بيت مال المسلمين ويتدخل في أمور الزواج إن حدثت أثناء السير أو بعد المعركة إن كسب المسلمون سبياً ونحو ذلك .

سادساً : إدارة المعركة :

استعرض في هذا البند طريقة إدارة الجيش الغازي للشاتية أو الصائفة ، فيقسم القائد الجيش إلى الأقسام التالية حسب حالات القتال :

الحالة الأولى : الحصار ، يوزع القائد الجيش على النحو التالي :

أ- رجال المجانيق ووظيفتهم إعداد المجانيق ورمي المدن والحصون بالمجانيق لتهديمها وإجبار المدافعين عنها للإذعان والتسليم ، وتتكون مادة الرماية بالمجانيق :

١- الحجارة التي كانت تسقط على مناطق الحراسة فوق الأسوار والمباني المتطرفة من المدينة وأماكن تواجد الجنود .

٢- النار وهي عبارة عن مادة زيتية سواء كانت نفطية أو غيرها تشعل وتلقى بالمجانيق فتثير الحرائق داخل الحصون والقلاع والمدن مما يدفع العدو للاستسلام وطلب الصلح .

ب- رجال الدروع : ومهمتهم بالإضافة إلى القتال حمل الدروع لوقاية الرجال المهاجمين ، والدروع أنواع :

١- الدرع الذي يحمله المقاتل ويكون من الجنازير الخفيفة تلبس تحت الثياب أو فوقها حسب الحاجة والظروف .

٢- الدبابات ؛ وهي أشكال مربعة من الخشب يحملها الجنود ويتقدمون بها نحو الأسوار للالتصاق بها والعمل على ثقبها وتهديمها ، فتقيهم من نبل الأعداء .

٣- التروس : وهي قطع حديدية تقي المقاتل من ضربات السيوف ، تستعمل عند الالتحام مع الأعداء وقد سبق ذكر هذه التروس .

ج- الرماة : ومهمتهم رمي الأعداء الموجودين فوق الأسوار أو رمي الأعداء الخارجين من المدن والقلاع لقتال المسلمين .

د- المشاة : ومهمتهم القتال بشكل عام ، والاقتحام في المعارك ، ودخول الحصون والقلاع لمقارعة الأعداء ، وتطهيرها من الجنود المحاصرين .

هـ- الخيالة : ومهمتهم القتال أولاً ودخول المدن بعد المشاة أو سبقهم حسب اتساع رقعة القتال وضيقها .

الحالة الثانية : القتال :

عندما يدرك القائد أن المعركة بحاجة إلى قتال ومواجهة فإنه يقسم الجيش على النحو التالي ليتمكن من إدارة المعركة .

أ- نظام الكراديس : وهي طريقة يتجمع فيها المقاتلون جماعات صغيرة في حدود العشرة رجال للقتال جماعة ضد الأعداء ، ويكون هذا النظام لسهولة الحركة ضد الأعداء مع تجميع القوة وزيادتها .

ب- نظام الصفوف : وهو نظام يعتمد على رص الرجال بجعلهم صفوفاً متراصة ويقصد منه عدم إحداث ثغرات أمام العدو وإظهار القوة والاستعراض .

ج- نظام الطير[1] وهو نظام يعتمد على تسهيل حركة الجيش أمام العدو بتحريك الأطراف ويعتمد على سرعة توجيه الأوامر من القادة ويكون على الشكل التالي :

١- المقدمة : وهي المجموعة من الجيش التي تتقدمه الجيش وتكون عبارة عن مجس لمعرفة قوة العدو وقادته ومكوناته .

٢- القلب : ويتألف من مجموعة من الجنود تصغر أو تكبر حسب عدد الجيش فقد تكون من مئات أو اكثر وتكون في وسط الجيش وغالباً ما يكون القائد العام فيها .

٣- الميمنة : ويقصد بها الجناح الأيمن ، وغالباً ما يكون عليها قائدٌ يتلقى الأوامر من القائد العام وتمتد للالتفاف حول العدو حتى لا يكون له قدرة على الاختراق .

٤- الميسرة : ويقصد بها الجناح الأيسر ، وغالباً ما يكون لها قائد مثل الميمنة ولها القدرة على سرعة الحركة والالتفاف حول العدو ومنع الاختراق .

٥- الساقة : مجموعة من الجيش تتأخر عن المقدمة .

---

(١) هذه التسمية مني لأنه كثيراً ما تذكر الأقسام على هذا الشكل وقد تنقص عن ذلك .

٦- المؤخرة أو الذيل[١] ومهمتها الحفاظ على مؤخرة الجيش من حركات التفاف العدو أولاً ، وتزويد الجيش بالمقاتلين إذا ما حدث قتل أو هروب في أحد الأجنحة ثانياً ، والتغيير مع القوات المنهكة منه ثالثاً ، والقيام بأعمال الحراسة على متاع الجيش فضلاً عن الاهتمام بالمصابين من المقاتلين رابعاً .

وغالباً ما يشارك في الجيش النساء اللاتي كان لهن دورٌ في المعركة ، فقد يحملن العصي ، والسلاح ، ويرهبن الأعداء ، ويقمن بتضميد الجراح ، ويساعدن الجيش في المأكل والمشرب[٢] .

سابعاً : طريقة القتال :

يتبع في طريقة القتال نظام يحرص كل قائد من قادة الجيوش على الاهتمام به والحرص على تطبيقه لمنع الخلل في صفوف الجيش والحرص على كسب النصر ويكون على النحو التالي :

أ- نظام المبارزة : حيث يخرج من كل من الفريقين المتحاربين شخص يطلب المبارزة والقتال الفردي ، وقد يكون من القادة الكبار في الجيش أو ممن اشتهر بهذا الفن من القتال في الغالب ، وقد يؤدي قتل أحد المتبارزين إلى هزيمة الجيش والفرار إذا كان بين قادة الجيشين المتحاربين أو الثبات لظهور علامات النصر كما حدث في معركة بدر .

ب- الرماية بأن يكون أحد الطرفين قد أعد نفسه قبل استعداد الطرف الثاني واحتل موقعاً مميزاً في أرض المعركة ، فيقوم برمي النبل والسهام فيضعف قوة العدو قبل التحام الجيشين .

---

(١) الذيل تسمية مني وغالباً ما تعرف بالمؤخرة .

(٢) وضعت هذا النظام من خلال سير المعارك التي حوتها كتب التاريخ وقد تختلف الصورة بزيادة ونقصان ، انظر ، الواقدي والمغازي م / ١- ٢ .

ج- الالتحام : ويكون باشتباك الطرفين من أول المعركة ويعتمد على حركة السيوف والرماح والخيل وتقدم المشاة ، ويعني ذلك اشتراك كل الجيش من كلا الطرفين .

هـ- نظام الكمائن والمفاجأة ، ويكون ذلك بنصب الكمائن أمام الجيش القادم قبيل وصوله إلى أرض المعركة ، أو أثناء الهرب مناورة .

و- نظام الحصار : وهو الإحاطة بالعدو من جميع أطرافه ومنافذه ، ويكون نظام الحصار في الغالب للقلاع والحصون والمدن والقرى ، وتكون عادة محاطة بسور ، ويكون ذلك بمنع وصول الإمدادات للمحاصرين أولاً ، ومنع هرب المحاصرين من الداخل ثانياً ، ومنع الاتصال بالعالم الخارجي ثالثاً ، وقد يشتد الحصار ويطول عدة شهور ، وقد يقتصر لعدة أيام حتى يطلب المحاصرون الاستسلام والنزول على حكم القائد المحاصر[1] وإذا كان المحاصرون ذوي قوة وكثرة فكثيراً ما يفتحون الأبواب أو أحدها ويخرجون لقتال المحاصرين لهم ، وقد تطول هذه المعارك أو تقصر ، وقد يرحل الجيش المحاصر عن القرية ، أو المدينة ، أو الحصن نظراً لمناعته ، أو لعدم الجدوى من حصاره ، أو لقرب أعداد كبيرة من الجيوش المعادية التي قدمت لمساعدة القرى والمدن والحصون المحاصرة ، وحتى لا يقع الجيش المحاصر بين فكي كماشة، أو لوجود مناطق أضعف من هذه الأماكن المحاصرة فيرحلون إليها للاستيلاء عليها، والتقوي بما يكسبون من غنائم ونحوها .

ويترتب لإنهاء هذه المعارك الأمور التالية :

١- استسلام العدو ويكون بعد طلب الأمان لمن داخل المدن والقرى والحصون ، أو للحاكم وأعوانه .

---

(١) يختلف نظام الحصار من موقع لآخر وحسب الامكانيات المتوفرة من قوة وكثرة وآلات حرب ونحو ذلك .

٢- الجلاء عن هذه المناطق إلى مناطق أخرى بحيث لا تعود تشكل خطراً على الطرف الثاني وقد يكون الجلاء قصراً أو اختياراً .

٣- إبقاء السكان في مناطقهم : ويكون ذلك حسب أحوالهم المادية ، إما بدفع غرامة مالية ، أو جزية ، أو نحو ذلك .

٤- الاستباحة : ويكون ذلك باستباحة المدينة وقتل المقاتلة فيها والاستيلاء علي مقدراتها وسكانها فيحصل المنتصر على الغنائم ومنها :

- السبي : بأن تسبى النساء والذراري ويصبحون عبيداً أو يتزوج بهن ، وكثيراً ما يرافق أعمال السبي أعمالٌ سيئة مشينة ،يرتكبها غير المسلمين غالباً .

- الفداء : قد يقدم من أهل المناطق المحاصرة من يفدي نفسه إما بمبلغ يقدره القائد الفاتح، أو يقدمه الشخص الذي يفدي نفسه حسب طاقته وحسب موقعه الاجتماعي وغناه .

وينتج عن انكسار العدو واندحاره حصول المنتصرين على الغنائم التي تتكون من :

١- الأموال المنقولة من : ذهب ، وفضة ، وكنوز ، ومتاع مختلف ، وملابس ونحو ذلك .

٢- متاع الحرب من : سيوف ، ورماح ، ومعدات حربية متعددة .

٣- الأنعام : قد يستولي المنتصرون على الأغنام ، والإبل ، والأبقار ، ونحو ذلك .

٤- الأموال غير المنقولة من منازل وأراضٍ .

وتتوزع هذه الغنائم بين المقاتلين حسب نظام شرعي يتولاه القاضي المرافق للجيش والذي ذكرنا مهمته سابقاً ، بعد إخراج الخمس منها لبيت مال المسلمين وترسل إلى حاضرة الخلافة .

المبحث الثالث : قادة الشواتي والصوائف

إن قادة الفتح الإسلامي الذين قادوا الجيوش الإسلامية إلى مشارق الأرض ومغاربها كانوا كلهم قادة شوات وصوائف ، غير أن النظام العسكري الذي اشتهر إبان الحكم الأموي والعباسي من بعده أبرز قادة اختصوا بالشواتي والصوائف ، ومع ذلك فقد سار القادة أيام الخلفاء الراشدين وقارعوا الأعداء أيام الشتاء والصيف ، فخالد بن الوليد رضي الله عنه سار من المدينة المنورة إلى أرض العراق ، ثم إلى أرض الشام غازياً فاتحاً وكانت جل حياته خارج المدينة المنورة ، مرت به أيام شاتية وصائفة، ومع ذلك فسوف أستعرض أبرز الذين اشتهروا في هذا المجال من القادة المسلمين وأذكرهم على النحو التالي :

أولاً : في العهد النبوي والخلفاء الراشدين :

أول من قاد المسلمين لنشر الدعوة النبوية رسول الله ﷺ ، فقد قطع الفيافي والقفار محارباً قريشاً وغيرهم ممن عادوا وحاربوا الإسلام ، وكان معه كبار الصحابة رضي الله عنهم ، فقد غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك في فصل الصيف[1] .

ويمكننا القول أن من خاض منهم الشواتي والصوائف بدون شك خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وعمرو بن العاص رضي الله عنه قائد معركة ذات السلاسل في عهد الرسول ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين ، ومن كبار القادة أبو عبيدة عامر بن الجراح الذي وصل أنطاكية ، والمثنى بن حارثة ، والقعقاع بن عمرو وغيرهم من القادة .

ويجب أن يفهم أن هؤلاء القادة وغيرهم قد خرجوا مجاهدين في الفتوحات الإسلامية ؛ لكن إعدادهم لم يكن مختصاً بنظام الشواتي والصوائف ، بل قادة عامون لجيوشهم .

---

(١) الواقدي ، المغازي ، ٣ / ٩٩٠ .

ثانياً : في العصر الأموي :

أ ـ الشواتي :

برز في العصر الأموي قادة مختصون في حرب الشواتي والصوائف فكان أول من خرج للشواتي بسر بن أرطاة شاتياً في أرض الروم سنة ٤٣هـ[(١)] ؛ وكذلك خرج عبد الرحمن بن خالد بن الوليد شاتياً بأرض الروم سنة ٤٥هـ وقيل ٤٦هـ[(٢)] ، وممن برز في الشواتي في هذا العصر فضالة بن عبيد شاتياً في البحر والبر سنة ٥٠هـ أو ٥١هـ ، وغزا البر في سنة ٥١هـ[(٣)] ، وسفيان بن عوف ، ونميل بن عمر بن مخزوم ، وقيس العذاري ، ومالك بن عبدالله سنة ٥٥هـ[(٤)] رضي الله عنهم أجمعين .

وظهر في شواتي البحر عقبة بن مرة الجهني سنة ٤٨هـ ، وعقبة بن نافع سنة ٤٩هـ[(٥)] وعمر بن مرة الجهني سنة ٥٩هـ[(٦)] . ومن هؤلاء القادة معاوية بن أبي سفيان الذي استأذن عثمان بن عفان رضي الله عنهم في غزو البحر فكانت معركة ذات السواري سنة ٣٠هـ والمعروفة بغزوة مضيق القسطنطينية .

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٢٠٧ ، ٢١٨ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٣ / ٥٣ ، ١٨٠ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٢ / ٢١٢ / ٢٤٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ٨ / ٢٥ ، ٢٩ ، عبد الرحيم السلوادي : معجم الأعمال العسكرية الإسلامية ١ / ٥٤ .

(٢) الطبري : مصدر سابق ٣ / ١١٥ ، ١١٦ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ابن كثير : مصدر سابق، ٨ / ٢٩ .

(٣) خليفة بن خياط ، مصدر سابق ، ٢١٨ ، الطبري : مصدر سابق ، ٣ / ١٢٩ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ٣/ ٢٢٨، ٢٣٣ ، ابن كثير : مصدر سابق ، ٨ / ٤٧ ، عبد الرحيم محمد السلوادي : مصدر سابق ،١/ ١٢ / ٢٤١ .

(٤) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٣ /٢٤٦/٢٥٢، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ .

(٥) الطبري : مصدر سابق ، ٣ / ١١٨ ، ٢٣٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٣ / ٢٢٧ ، ابن عذاري : البيان المغرب ، ١ / ٢٣٨، عبد الرحيم السلوادي : معجم الأعمال العسكرية الإسلامية ، ١ / ١٧٨ .

(٦) خليفة بن خياط ، ٢٢٦ ، الطبري : مصدر سابق ، ٣ / ١٦٠ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ٢٥٦/٣ ، عبد الرحيم محمد السلوادي : مصدر سابق ، ٢٤١ .

وكان أبناء الخلفاء في هذا العصر يخرجون بأنفسهم قادة لهذه الشواتي ، ومن ذلك مسلمة بن عبد الملك سنة ٧٣هـ ، والوليد بن هشام سنة ٨٨ هـ إلى انطاكية، وحصن طوانة ، وكذلك العباس بن الوليد بن عبد الملك [١] .

وممن شارك في الشواتي وبرز فيها عبد الرحمن بن مسعد ، وعبد الرحمن بن أم حكيم ، وعبدالله بن قيس ، كلهم شتوا بأرض الروم[٢] ، وكذلك جنادة بن أمية وقد شتا في البحر سنة ٥٨هـ أو ٥٩هـ [٣] ، وفي السنة نفسها شتا عمر بن مرة المهدي بأرض البذندون ، وفي سنة ٥٩ هـ بأرض الروم [٤] ، وفي سنة ٧٢هـ غزا أنطاكية أبو عبد الرحمن بن مكرز وهو من بني عامر بن لؤي[٥] وغيرهم ممن يضيق المجال بذكره على هذه العجالة .

ب ـ الصوائف :

أما في الصوائف فقد لمع قادة كثر كان ذكرهم بارزاً ، أذكر منهم على سبيل إتمام هذا البحث : بسر بن أرطاة السالف ذكره في الشواتي وقد غزا صوائف سنة ٤٤هـ و ٥٠هـ ، ٥١هـ [٦] ، ومنهم عبدالله بن عتبة الفهري سنة ١١٦هـ وقيل عبد الرحمن بن معاوية بن حديج[٧] .

---

(١) خليفة بن خياط : مصدر سابق ، ٣٠٧ ، ابن أكثم : الفتوح ، ٣ / ٤٠٣ — ٤٠٥ ، ٤ / ٢٨٧ — ٣٢٨ ، ابن كثير : مصدر سابق ، ٩ / ١٢٢ .

(٢) خليفة بن خياط : مصدر سابق ٢٠٩ ، ٢١٩ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٣ ، ١٤٦ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣ / ٤٤٤ ، ابن كثير : مصدر سابق ، ٨ / ١٢ .

(٣) الطبري : مصدر سابق ، ٣ / ١٥٦ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ٢٥٣/٣ ، ابن كثير : مصدر سابق ، ٨ / ٨٤ .

(٤) ابن الأثير : مصدر سابق ، ٢٥٦/٣ ، ابن كثير : مصدر سابق ، ٨ / ٩٧.

(٥) ابن خياط : مصدر سابق / ٢٦ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ٢٢٧/٣ ، الطبري : مصدر سابق ، ٣ /١٨٠١/١١٨، ١٧٠ ، ابن كثير : مصدر سابق ، ٨ / ٩٠.

(٦) الطبري : مصدر سابق ، ٣ / ١٢٩ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ٢١٩ / ٢٣٣ .

(٧) الطبري : مصدر سابق ، ٤ / ٢٨ .

ويمكننا القول بلا تردد أن كثيراً منهم برز في الشواتي وكذلك في الصوائف وممن ذاع سيطه في هذه الصوائف ، من أبناء الخلفاء ، مسلمة بن عبد الملك وقد غزا سنة ١٠٨هـ الصائفة اليسرى ، وفي نفس العام غزا الصائفة اليمنى[١] وقيسارية وأرض الروم ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك وقد غزا البذنورن سنة ٨٩هـ ، وقد أرسل معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٠هـ ابنه يزيد لغزو الروم في صائفة كبيرة وكذلك يزيد بن هشام سنة ١٢٣هـ[٢] ، ومعاوية بن هشام بن عبد الملك في الصائفة اليسرى سنة ١٠٨ هـ والخرشنة ١١٢ هـ[٣] وسليمان بن هشام وسعيد بن هشام وقد صاف في بلاد الروم[٤] ومروان بن محمد سنة ١٠٣ وقد غزا الصائفة الكبرى[٥] ، وقد غزا في أرض الروم سعيد بن هشام ، وقد غزا الصائفة سنة ٦٠هـ عمر بن معاوية العقيلي[٦] ، وعبدالله بن كريز البجلي صاف في أرض الروم[٧] ، ومعن بن يزيد السلمي[٨] ، وكذلك برز في هذا المجال كل من عبدالله بن قيس الفزاري سنة ٤٨هـ وقد غزا أرض الروم[٩] ، وفي مجال البحر غزا صائفة البحر عبدالله بن عقبة بن نافع[١٠] .

---

(١) خليفة بن خياط ، ٢١٨ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ٣٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ٣٣٨ – ٣٤١ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤ ، ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٥١ ،ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،٤ / ٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ .

(٤) الطبري : مصدر سابق ، ٤ ، ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٥١ ،ابن الأثير : مصدر سابق ،١٩٩ ، ٢٠٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٢٤٣ ، ٣١٧ .

(٥) خليفة بن خياط : مصدر سابق ، ٣٢٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ٢٢٩ .

(٧) الطبري : مصدر سابق ، ٣ / ١١٨ .

(٨) المصدر نفسه ، ٣ / ١٤٩ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ٢ / ٢٤٦ ، ابن كثير مصدر سابق ، ٢ / ٢٤٦ .

(٩) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٣ ، ١١٨ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣ / ٢٢٧ .

(١٠) المصدر نفسه ، ٤ / ٢٠٥ .

ومن جهة أخرى فإن بعض الصوائف كان يقوم بها المسلمون ، ولم يذكر القائد، كما حدث في صائفة المسلمين في مرعش سنة ٤١هـ[1] ، وفي أرض الروم صائفة المسلمين سنة ٤٢هـ[2] .

من خلال استعراضنا لأسماء القادة الذين ساروا في دروب الجهاد تحت وهج الشمس المحرقة في صوائفهم وفوق الأرض الباردة وتحت الثلج المتساقط فوق رؤوسهم في بيئات لم يعتادوا عليها في شواتيهم ، يبدو لنا أهمية الشواتي والصوائف ومدى حاجة المسلمين لها في ذلك العصر ، عصر التوسع والفتوحات عصر الجهاد في سبيل الله ويمكننا استنتاج ما يلي :

١- أهمية الشواتي والصوائف وحاجة المسلمين إليها .

٢- إن هذه الشواتي والصوائف كانت تخرج وتحدث بأمر من الخليفة الأموي .

٣- إن أبناء الخلفاء الأمويين كانوا يتصدرون القيادة لإكساب هذه الشواتي والصوائف أهمية وهيبة في نظر الأعداء .

٤- إن هذه الحملات كانت تحوي على جيوش منظمة في جلها .

٥- إن المسلمين كانوا يهبون ملبين الدعوة في سبيل الله .

ثالثاً : في الأندلس :

أ ـ الشواتي :

لقد كان الفتح الإسلامي في الأندلس سريعاً نظراً لانهيار ممالكها بسرعة لكن هذا الفتح لم يغطِّ جميع المناطق مما أوجد فيها كثيراً من الثغور التي كانت مصدر

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ٢٠٥ ، ٢٧١ ، الطبري : مصدر سابق ، ٣ ، ٣٨٧ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ٤ / ٢ / ٢٣ .

(٢) الطبري : مصدر سابق ، ٣ ، ٨٨ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ٣ / ٢١٠ .

إزعاج للمسلمين إبان وجودهم في الأندلس ، وكانت الثغور الشرقية أشد خطراً من الثغور الشمالية والغربية والتي أشرت إليها عند تناول الثغور ، وأشير إلى أهم قادة الشواتي والصوائف في الأندلس وأتناول الشواتي ثم الصوائف .

برز في الشواتي قائد كبير وهو عبد الملك بن أبي عامر الذي غزا سنة ٣٩٧هـ شاتيته الأولى في أرض شانجة ، وكان شانجة شديداً على المسلمين[١] ، وفي سنة ٣٩٨ هـ غزا شاتية شنت مرتين وقد تمكن المسلمون بقيادة عبد الملك بن أبي عامر من احتلال هذا الحصن[٢] .

وتبدو الشواتي قليلة في الأندلس نظراً لشدة البرد في هذه البلاد ، ربما لعدم تحرك العدو نحو المسلمين في هذا الفصل البارد ، ربما لعدم حاجة المسلمين إلى هذه الشواتي كما كانت حاجتهم إلى الصوائف .

ب ـ الصوائف :

وإذا ما عدنا إلى الصوائف والتي اشتهرت في الأندلس وكانت تأخذ منهم الوقت الطويل فإنني سأذكر أهم هؤلاء القادة ، ومنهم : أمية بن معاوية بن هشام الذي غزا صائفة أوريط سنة ٢٠٩هـ ، وكانت مدينة أوريط بيد المسلمين فقتل فيها المشاغبين[٣] ، وممن برز في هذا المجال مطرف بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم وهو من نسل الخلفاء الأمويين ، وجعل على جيشه عبد الملك بن أمية ، ثم أحمد بن هاشم ، وقد توجه سنة ٢٨٢ هـ إلى إشبيلية واحتل شذونه[٤] . وفي سنة

(١) ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ٣ / ٣٦ — ٣٧ / ٨٣ — ٨٤ ، وسنذكره باسم البيان المغرب .
(٢) المصدر نفسه ، ٣ / ٢١ — ٢٣ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢ / ٨٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ٢ / ١٢٤ .

٣٠٦هـ غزا بدر بن أحمد الحاجب إلى دار الحرب أعني الثغر بسبب اعتداء ارذون بن ادفنش على المسلمين فسار إليه في ٢٥ محرم من هذه السنة ووصلها يوم الخميس ١٣ ربيع الأول سنة ٣٠٦هـ[١] .

وقد اختصت أسرة أبي عامر بمثل هذه الصوائف ومن ذلك ما قام به في ٣ رجب سنة ٣٦٦ هـ إلى ثغر الجو في من جليقية[٢] ، ثم سار في ١ شوال من هذه السنة إلى حصن موله بمجريط ولقي غالب الناصري[٣] .

وممن برز من هذه الأسرة المنصور بن محمد بن أبي عامر الذي سار على نهج أبيه فغزا صائفة حصن بلاية في شنت ياقوب في ٢٢ جمادى الآخرة[٤] ، وكذلك برز في الصوائف عبد الملك بن أبي عامر ، وقد غزا صائفة قلونية من بلاد قشتالة المذكورة باسم قشتيلة سنة ٣٩٧هـ[٥] .

وقاد الخليفة عبد الرحمن الناصر بنفسه الصائفة في ١٣ محرم الموافق ١٣ حزيران سنة ٣٠٨ هـ والتي اشتهرت بغزوة مويش في منطقة جليقية فلما وصل إلى حصن حنشمة أرسل وزيره سعيد بن المنذر الذي حاصر الحصن وغنم غنائم كثيرة[٦] .

مما سبق يمكننا أن نستنتج النقاط التالية :

١- كانت الشواتي أقل من الصوائف في الأندلس نظراً لشدة وصعوبة الظروف المناخية في الشتاء .

---

(١) المصدر نفسه ، ٢ / ١٧٢ — ١٧٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٦٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٤٥ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ١ / ٢٩٥ — ٢٩٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ٣ / ١٣ — ١٥ .
(٦) المصدر نفسه ، ٣ / ٧٥ — ٧٧ .

٢- كثرة الصوائف في الأندلس نظراً لاعتدال الجو وتمكن المسلمين من التنقل في مناطق الثغور التي يسيطر عليها العدو ، ومناطق الفتن .

٣- إن هذه الصوائف لم تكن في مناطق الثغور فقط ؛ بل كثيراً ما كانت في مناطق المسلمين نظراً للتمرد الذي كان يحدث فيها .

٤- كان الخلفاء يسيرون إلى الصوائف بأنفسهم مثل عبد الرحمن الناصر .

رابعاً : في العصر العباسي :

أ ـ الشواتي :

كانت الشواتي في العصر العباسي قليلة إذا ما قورنت بعمر الخلافة العباسية فكانت الشاتية الأولى سنة ١٧٧هـ بقيادة سليمان بن راشد الثقفي ، وهو قائد عربي، إلى ملطية وفي سنة ١٧٨هـ غزا معه بطريق صقلية أيضاً إلى ملطية[١] .

وفي سنة ٢٣١هـ غزا الشاتية أحمد بن سعيد بن سليم الباهلي وكانت وجهته إلى البذندون ، وكان الثلج كثيراً فمات معه كثير من المسلمين ، وفاجأه الروم ، ولما رجع عزله الواثق وولى مكانه نصر بن حمزة الخزاعي[٢] .

وفي سنة ٣٠٢هـ غزا الصائفة علي بن عيسى أرض الروم من ناحية طرسوس لغزو الصائفة وولى مكانه بشر خادم بن أبي الساج فلم يتمكن من غزوها فغزا شاتية[٣] .

وفي سنة ٣١٦هـ غزا ثمال والي طرسوس بلاد الروم في فصل الشتاء فنزل الثلج كثيراً عليهم حتى وصل حدود الخيل وعاد بجيشه منتصراً[٤] .

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٤٥٠ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤٥٦/٤ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥ / ٩٩ .

(٢) الطبري : مصدر سابق ، ٥ / ٧٣ - ٧٤ ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ٥ / ٢٧٥ .

(٣) الطبري : مصدر سابق ، ٥ / ٤٠٧ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ٦ / ١٤٨ .

(٤) المصدر نفسه / ٦ / ٢١١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١١ / ١٧٨ .

من خلال استعراضنا لأسماء قادة الشواتي وتواريخها يمكننا استنتاج النقاط التالية :

١- قلة الشواتي في النصف الأول من حياة الخلافة العباسية ، ويمكن ارجاعها إلى عدة أسباب منها صعوبة الظروف المناخية في أماكن هذه الشواتي أولاً ، وبعدها عن دار الخلافة ثانياً ، وقلة حركة الأعداء في هذه المناطق ثالثاً ، وربما لعدم رغبة القادة والجيوش في الغزو في هذه المناطق لاختلاف هذه البيئات مناخياً عن بيائتهم .

٢- تباعد تاريخ الشواتي بعضها عن بعض وقلتها ، إذ إنها لم تحدث خلال ثلاث وسبعين سنة ولم أعثر على غيرهما من الشواتي بعد ذلك .

٣- بدا واضحاً أن جل قادة الشواتي كانوا من أصول عربية .

٤- لم يكن النصر حليفاً للعرب المسلمين في كل هذه المعارك ، ويعود ذلك إما إلى مفاجأة الروم لهم ، أو لجهلهم بهذه المناطق .

٥- بدا واضحاً دور ولاة المناطق القريبة من الثغور في هذه الشواتي .

٦- تدخل الخليفة في هذه الحملات كما في الشاتية الثانية .

٧- توقفت هذه الشواتي ، ولم نجد لها أثراً في النصف الثاني من تاريخ الخلافة العباسية الثانية ، ومرد ذلك إلى بداية ضعف هذه الخلافة أولاً ولقيام أعدائها بحروب استرداد ، أعني الحروب الصليبية ثانياً .

ب ـ الصوائف :

كثرت الصوائف في العصر العباسي الأول ، ويمكن إحصاء أكثر من أربعين صائفة حدثت في هذه المرحلة ، وتبدو البواعث والأسباب التي تناولتها في هذه الدراسة واضحة فضلاً عن الظروف العامة لهذه الخلافة ، وظروف الأعداء المحيطين بها ، وسوف نتوقف في النصف الثاني من حياة الخلافة العباسية عن الشواتي والصوائف نظراً لأسباب الضعف التي حلت بها ، فضلاً عن طمع الأعداء في أراضيها .

بدأت الصوائف مع بدايات العهد العباسي ؛ إذ نجد أول صائفة حدثت سنة ١٣٣هـ بقيادة سعيد بن علي بأمر من أخيه صالح بن علي ، وفي سنة ١٣٦هـ عقد السفاح لابن عمه عبدالله بن علي بن العباس الصائفة ، وفي سنة ١٣٨هـ غزا العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس مع صالح بن علي بن عبدالله وبني صالح الصائفة ، وبنو ما كان قسطنطين قد هدمه [١].

وفي الفترة من ١٤٠ – ١٥٥ هـ سيرت تسع حملات صائفة برز فيها من القادة كل من : الحسن بن قحطبة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ، وكان الحسن من كبار قادة العباسيين ، ثم جعفر بن حنظلة البهرائي ، ومالك بن عبدالله الخثعمي ، ثم العباس بن محمد ، ومعه الحسن بن قحطبة ، ومحمد الأشعث ، وجاء عبد الوهاب بن إبراهيم في سنة ١٥١ أو ١٥٢ هـ وبرز من بعده معيوف بن يحيى الحجوري وفي ختام هذه الفترة برز القائد يزيد بن سعيد السلمي [٢] .

عاد يزيد بن سعيد السلمي سنة ١٥٧هـ فغزا الصائفة في أرض الروم ، وقيل بل وجه عنه سنان مولى البطال إلى بعض حصون الروم ، وقيل بل غزاها زفر بن عامر ، وفي سنة ١٥٩هـ كانت صائفة أنقرة بقيادة العباس بن محمد الذي أنقذه المهدي [٣] .

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٤١٧ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤ / ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٥٠، ٢٥١ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٤ / ٣٤٢ ، ٣٥٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠ / ٥٨ .

(٢) خليفة بن خياط : مصدر سابق ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٣٢٨ ، ، الطبري : مصدر سابق ، ٤ ، ٢٥١ ، ٣٤١ ، ٣٤٦، ٣٥٣ ، أبو زكريا الأزدي : تاريخ الموصل ، ٢١١ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ٤ ، ٣٦٠ ، ٥ ، ٢٢ ، ٢٨، ٣٦ ، ٣٨ ، ابن كثير : مصدر سابق ، ١٠ ، ٧٧ ، ١٠ ، ١١٨ .

(٣) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٤٢٨ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤ / ٣٨٥ ، ٣٥٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥ / ٣٨ ، ٥٣، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠ / ١١٨ / ١٣٢ .

أما في الفترة ما بين ١٦٠هـ – ١٧٠هـ فقد حدثت سبع صوائف برز من قادتها : ثمامة بن الوليد بن القعقاع العبسي ، وكان نصيب هارون الرشيد منها ثلاث صوائف غزاها بنفسه إلى كل من مدينة ماجدة وقبلها في زمن أبيه فوصل أرض الروم وغنم ، ويقال أنه استمر فيها سنة من ١٦٣-١٦٤ ، ومرة أخرى برز معيسون بن يحيى الحجوري وقد غزا من درب الراهب ، وختم هذه الفترة سلمان البكائي سنة ١٧٠ هـ وقيل بل الذي غزاها هارون الرشيد . وغزا الصائفة في هذه السنة أيضاً زفر بن عاصم الهلالي وقيل أنه أرسل ابنه عبد العزيز فوصل جيحان .وهذا دليل على اهتمام الخلفاء في النصف الأول من حياة الخلافة العباسية بالصوائف كما أشرت إلى ذلك سابقاً[1] .

وإذا تناولنا الفترة من سنة ١٧٢ — ١٨٧ وجدنا عدد الصوائف عشر صوائف بمعدل صائفة كل سنة ونصف ، وقد برز من القادة في هذه الفترة إسحاق بن سليمان بن علي الذي غزا مدينة أهل الكهف من أرض الروم وتكرر غزوه لأرض الروم في سنة ١٧٣ ، ١٧٤هـ ، ثم جاء أخوه عبد الواحد بن عبد الملك ، وبرز في هذه الفترة معاوية بن زفر بن عاصم وقد غزا سنة ١٧٨هـ وسنة ١٨٠هـ . وجاء لأرض الروم صائفاً طغج بن جف بأمر من خمارويه بن أحمد بن طولون فبلغ طريون وقيل بلورية ، وفي سنة ١٨٧ وجه هارون الرشيد ابنه القاسم ومعه عبد الملك بن صالح وأهل الثغور فدخل درب الصفصاف فوصل مدينة قرة ، وصالح أهل الثغور على ١١٢٠ أسيراً[2] .

---

(١) خليفة بن خياط : مصدر سابق ، ٤٣٠ ، ٤٤٩ ، الطبري : مصدر سابق ، ٤ / ٣٩٠ — ٣٩١ ، ٤٠١ — ٤٠٢ ، أبو زكريا الأزدي : تاريخ الموصل ، ٢٤٥ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ٥ / ٦٤ / ٦٥ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٨ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤ / ٤٤، ٤٤٤ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٧٧ ، أبو زكريا الأزدي : ٢٧٠ — ٢٧٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠ / ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٠ .

أما في سنة ١٩٠ ، ١٩١ هـ فقد حدثت صائفتان ، كانت الأولى بقيادة هارون الرشيد ، وقد جعل ابنه المأمون بمدينة الرقة وفوض إليه الأمور ، وجاء في سنة ١٩١هـ هرثمة بن أعين وقد استعمله هارون الرشيد على الصائفة مع ثلاثين ألفاً من أهل خراسان وأمره ببناء مدينة طرسوس[1] .

توقفت الصوائف مدة نصف قرن تقريباً واستؤنفت في سنة ٢٣٧ — ٢٤٩ هـ ، وقد برز في هذه الفترة من القادة كل من : علي بن يحيى الأرمني وقد غزا أرض الروم سنة ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ هـ ثلاث صوائف متتالية ، وكرر الصائفة في سنة ٢٤٦هـ ، وفي نفس هذه السنة غزا الصائفة عمر بن عبدالله الأقطع بإذن من جعفر بن دينار ففتح حصناً وعدة مطامير[2] .

استؤنفت الصوائف سنة ٢٧٢هـ ولغاية ٢٩٩ هـ بعد انقطاع دام ٢٢ سنة ويبدو من خلال الانقطاع السابق والانقطاع الحالي أن السبب في ذلك يعود إلى الظروف الداخلية بعد هارون الرشيد ، من خلاف بين أبنائه ثم بداية مرحلة الضعف بسبب تسلط العناصر غير العربية على أوضاع الخلافة ، وقد برز في هذه المرحلة من القادة كل من يازمان وقيل بازمان ، وقد غزا أرض الروم وعاد غانماً سالماً وهو من أصل تركي[3] ، والحسين بن علي وقد سير صاحبه نزار بن محمد ففتح عدة حصون للروم،

---

(١) خليفة بن خياط : مصدر سابق ، ٣٤٧ ، الطبري : مصدر سابق ، ٤ / ٣٩٩ — ٤٠٠ ، ٤٨٦ ، أبو زكريا الأزدي : ٢٧٠مصدر سابق ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ابن الأثير : مصدر سابق ٥ / ١٢٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية، ١٠ / ١٤٩ .

(٢) الطبري : مصدر سابق ، ٥ / ٩٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ابن الأثير : مصدر سابق ٥ / ٢٩١ ، ٢٣٣ ، ٣١٢ ، ابن عذاري البيان المغرب ، ١ ، ١٨٢ ، ابم كثير : البداية والنهاية ١٠ ، ٢٣١ ،

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥ ، ٣٣٨ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٦ ، ٦٠ ، ٦١ .

والقاسم بن سيما غزا بأمر من المقتدر ، وقد غزا مرتين سنة ٢٩٧ ، ٢٩٨هـ ، وكذلك رستم بن بردوا وكان أمير الثغور غزا من ناحية طرسوس ومعه دميان[١] .

أتناول آخر مراحل الصوائف في تاريخ الخلافة العباسية في النصف الأول من حياة هذه الخلافة من ٣٠١ – ٣١٩ هـ وخلال هذه المدة ومقدارها ثماني عشرة سنة حدث خلالها أربع صوائف برز فيها من القادة : الحسن بن حمدان بن حمدون والذي كانت دولة أبائه بني حمدان محاذية للحدود الرومية ، وهو من أصل عربي ، وقد أوغل في الأراضي الرومية من جهة طرسوس ففتح عدة حصون وقتل من الروم أعداداً كبيرة ثم غزا العرب المسلمون صائفة طرسوس والتي لم أجد لها اسم قائد بل يذكر أن أهل طرسوس غزوا الصائفة فغنموا وعادوا ، وكانت الصائفة الثالثة صائفة ثمال في هذه الفترة، وقد وصل عمورة وكان الروم قد تجمعوا ، فلما علموا به هربوا منها [٢] .

أنتهت مرحلة الصوائف في العهد العباسي الأول ، وقد أشرت إلى أسباب قلتها في الحديث السابق ؛ غير أنها انعدمت تقريباً بعد هذه المرحلة ، ومرد ذلك الضعف العام الذي دب في أوصال الخلافة الإسلامية فقطع أوصالها أولاً ، ولم يعد للخليفة غير رسمه على ما في داخل قصره ثانياً ، ولطمع الممالك المحيطة بها ثالثاً ، واحتلال أجزاء كبيرة منها كما بدا ذلك واضحاً في الحروب الصليبية ، وحروب الاسترداد في الأندلس أخيراً .

(١) الطبري : مصدر سابق ، ٥ / ٣٧٥ ، ٤٠٤ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ١١ / ٩٩ ، ١١٩ ، ٦ / ١٤٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١ / ١١٩ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥ / ٤٠٦ ، ٩ / ١٨٥ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٦ / ١٢٩ ، ٢١٦ – ٢١٧ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ١١ / ١٦٥ ، ١٧٨.

ومن خلال استعراض أهم القادة العسكريين الذين تناولتهم في هذه المرحلة من حياة الخلافة العباسية التي قسمتها إلى سبع مراحل يمكننا ملاحظة واستنتاج النقاط التالية :

١- عدم تناسب عدد الصوائف مع عمر الخلافة العباسية والتي عمرت خمسمائة وأربعاً وعشرين سنة ، والتي بلغت اثنتين وأربعين صائفة ، والتي كانت تحدث مرة واحدة كل أثنتي عشرة سنة ونصف تقريباً .

٢- ظهور الخلفاء العباسيين بشكل واضح ، كما بدا ذلك في غزوات هارون الرشيد في صوائفه المتعددة . وكذلك ظهر دور الخلفاء واضحاً في إعداد هذه الصوائف أولاً ، ومحاسبة قادتها ثانياً .

٣- ظهور القادة العرب في الكثير من هذه المعارك ، وكانت نسبة كبيرة منهم مختصة بالصوائف بأمر من الخلفاء العباسيين .

٤- ظهور بعض الأسر الفاعلة في هذه الصوائف ، ومنهم على سبيل المثال: عبدالله بن علي بن العباس وأولاده ، وكذلك عبدالملك بن صالح وأولاده .

٥- ظهور بعض القادة من أصول عربية ، من القبائل التي كان لها دور كبير في الجهاد في الفترات السابقة ، ومن ذلك يزيد السلمي ، ثمامة العبسي ، وكذلك معيوف بن يحيى الحجوري وغيرهم .

٦- ظهور بعض القادة من أصول غير عربية ومن الأمثلة على ذلك يازمان أو بازمان وطغج بن جف وغيرهما .

٧- توقف الصوائف بعد هذه الفترة من حياة الخلافة العباسية ومرجع ذلك للأسباب التي ذكرتها سابقاً والذي بدا واضحاً في دور الحروب الصليبية ، وطمع أوربا

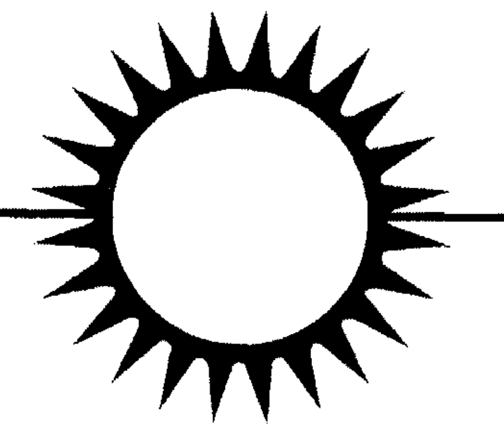
بمختلف حملاتها الناتجة عن الإمبراطورية الرومانية ، وأضيف هنا سبباً هاماً وهو ضعف الجيش العباسي ، والذي صار يدور في فلك السلاطين والملوك، وانشغالهم في أعمال السلب والنهب ، والبحث عن مصادر الرزق لتأمين حياتهم بعد انفراط عقدهم ونظامهم، ولقد كان لانفصال كثير من الأجزاء عن جسم الخلافة العباسية ودخولها في أحلاف مع جيرانها ، وأحياناً دفع الجزية لهم ، من الأسباب التي أدت إلى توقف هذه الشواتي والصوائف .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الفصل الثالث

دراسة تحليلية ومقارنة لنماذج
من الشواتي والصوائف





المبحث الأول : الشواتي والصوائف في العصر الأموي

أتناول في هذه الدراسة نماذج من الشواتي والصوائف في كل من العصرين الأموي والأندلسي ، وفي العصر العباسي ، وأقوم بشرح ومقارنة وتحليل للنصوص التي تناولت هذه النماذج من الشواتي والصوائف ، وأبين في كل نص منها المعلومات الواردة فيه مشيراً إلى مصادرها ، ومن ذلك : تاريخ الشاتية والصائفة ، والطريق التي سلكتها للوصول إلى الهدف الذي قصدته وأشير إليه ، كما أبين أسماء قادتها من الطرف العربي المسلم أو غير العربي ، وكذلك من طرف العدو من الروم والممالك المجاورة لدار الخلافة في كل من بلاد الشام والأندلس والعراق .

كما أتناول أحداث هذه الشواتي والصوائف وما أثرته في المناطق التي مرت بها أو في أرض العدو والتغيرات التي أجرتها ، وأُعدّد الجيوش التي سارت فيها ، وأنتقل إلى بيان نتائجها من غنائم وخسائر وانتصارات وانكسارات ومعوقات . ثم أخلص إلى أهم الاستنتاجات والملاحظات التي استنتجتها حول هذه الشواتي والصوائف .

أولاً : الشواتي :

الشاتية الأولى : كانت سنة ٤٣ ، ومكانها بأرض الروم ، ذكرها بقوله : أشتا بسر بن أرطاة[1] بأرض الروم[2] ، ونجدها عند الطبري : (غزوة بسر بن أبي أرطاة أرض

(١) بسر بن أرطاة وقيل بسر بن أبي أرطاة والأول أقرب إلى الصواب ، وهو الأمير أبو عبد الرحمن بسر بن أرطاة القرشي العامري نزيل دمشق ، ولد في السنة الثانية للهجرة ، ولما توفي رسول الله ﷺ كان عمره ثماني سنوات ، وتوفي في حدود سنة ٧٠هـ ، انحاز إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، وذكره ابن سعد : الطبقات الكبرى ٧ / ٤٠٩ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٣ / ٩٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣ / ٢١٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ٨ / ٢٥ وله ترجمة وافية عند الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٣ / ٤٠٩ — ٤١٠ .

(٢) ذكرها خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٢٠٦ ، ذكرها ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ١٠ / ٧ .

الروم وشتاه بأرضهم حتى بلغ القسطنطينية فيما زعم الواقدي ، وقد أنكر ذلك قوم من أهل الأخبار فقالوا لم يكن لبسر بأرض الروم مشتا قط[1]) ، وبذلك قال ابن الأثير[2] ، ونحوه قال ابن كثير[3] .

كانت هذه الشاتية الأولى في العصر الأموي وهي من أوائل الأعمال العسكرية ضد الروم بعد عام الجماعة الذي وصل فيه معاوية بن أبي سفيان إلى الخلافة فكان أول خليفة أموي وكانت أول شاتية في تاريخهم .

وترى خليفة بن خياط قد ذكرها دون إسنادها إلى راوٍ بصورة مختصرة وبذلك قال من جاء بعده وزادوا على قوله حتى بلغ القسطنطينية .

وبسر بن أرطاة كان صحابياً وإن اختلف في روايته الأحاديث النبوية ، غير أن وصول العرب المسلمين إلى القسطنطينية أمر يدل على الجرأة أولاً ، وعلى قوة ومعنويات قادتهم ثانياً ، وكذلك عزم الجيش الإسلامي في هذه الفترة من تاريخهم ثالثاً . ومما يلفت النظر في هذه الفترة ؛ ورغم حداثة العهد بانتهاء الخلافات الداخلية ، واستقرار الحكم لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فإن ذلك يدل على يقظة الخلافة لأعدائها الروم في ذلك الوقت ، ومحاولات الخلافة الأموية غزوهم في عقر دارهم حتى بلغوا القسطنطينية .

ومن جهة أخرى فقد حمل النص عند غير خليفة بن خياط زعم هذه الشاتية على لسان الواقدي فيما زعم ، غير أن إيرادها عند أكثر من مؤرخ من المؤرخين الثقات يدل على أن الزعم هنا قول وليس نفي . وإذا ذهبنا إلى قول الذين نفوا هذه

---

(١) الطبري : مصدر سابق ، ٣ / ٩٣ .

(٢) ابن الأثير : مصدر سابق ، ٣ / ٢١٢ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٨ / ٢٥ .

الشاتية إلى درجة الإنكار فإننا لا نجد عند أصحاب هذه المصادر الآنفة الذكر إسماً واحداً من أهل الأخبار الذين نفوها .

أشرت في الحاشية الأولى في الصفحة السابقة إلى أن ابن عساكر قد ذكرها ، فضلاً عما أشار إليه الذهبي بقوله : (كان له نكاية في الروم)[1] وهذا برهان على احتكاك بسر بالروم وأرضهم . ومما سبق يمكننا أن نؤكد حدوثها ونوضح الأمور التالية :

١- إن العرب المسلمين كانوا على يقظة من الروم مما دفعهم لهذه الشاتية في هذا الوقت المبكر من حياة الخلافة الأموية .

٢- التأكد من حدوث هذه الشاتية على ضوء ما ذكرت من أدلة سابقة .

٣- قصر النص الوارد حول هذه الشاتية ، وعدم التوسع في ذكرها وتفصيل أحداثها على غرار المعارك الكبيرة التي خاضها المسلمون ضد الروم .

الشاتية الثانية : شاتية البحر والبر وحدثت بتاريخ ٥٠هـ أو ٥١هـ ، ومكانها أرض الروم وبحرها هو البحر الأبيض المتوسط حالياً وقد ذكرها بقوله : (وفيها شتا فضالة بن عبيد الأنصاري[2] بأرض الروم والبحر[3] ، وورد عن الطبري وقوله : (فيها مشتا فضالة بن عبيد بأرض الروم)[4] ، وعند ابن الأثير : (وغزوه فضالة بن عبيد الأنصاري في البحر)[5] ، وعند ابن كثير : (وفيها غزا فضالة بن عبيد

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٣ / ٤١٠ .

(٢) فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب بن أصرم بن جحجبي القاضي الفقيه أبو محمد الأنصاري الأوسي، توفي سنة ٥٣هـ وقيل ٥٩هـ . ذكره وترجم له ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٧ / ٤٠١ خليفة بن خياط : طبقات خليفة بن خياط ، ترجمة ٥٤٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٣ / ١١٣ .

(٣) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٢١٨ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٣ / ١٢٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣ / ٢٢٨ .

البحر)[1] ويؤرخ له الذهبي قائلاً : (في سنة إحدى وخمسين غزا فضالة الشاتية)[2] .

تمتاز هذه الشاتية باتفاق كل من أرخ لها على أنها شاتية قادها فضالة ، ونلمح فيها بعض الاختلاف في عدة مواضع فقد حددها خليفة بن خياط بأنها كانت بأرض الروم والبحر ، وعند الطبري أنها بأرض الروم ، ونراها عند ابن الأثير في البحر دون ذكر أرض الروم مخالفاً الطبري في النص ، وقد وردت عند ابن كثير مطابقة لفظاً البحر، ولم يحدد الذهبي مكانها بل جعلها الشاتية .

وعند تحديد الاسم نجده عند خليفة بن خياط أنه فضالة بن عبيد الأنصاري، وعند الطبري فضالة بن عبيد ويوافق ابن الأثير خليفة بن خياط في مطابقة الاسم ، وعند ابن كثير يطابق الطبري وينفرد الذهبي بقوله فضالة فقط .

مما لا شك فيه رغم قصر هذا النص المختص بهذه الشاتية ، أنها كانت شاتية مهمة لأنها كانت في البحر ، ومعروف مدى تهيب الإنسان المسلم العربي لركوب البحر. فقد كان لمعركة ذات الصواري أهمية كبيرة قادها معاوية بعد أن أخذ الإذن من عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، ومما زاد في قيمة هذه الغزوة أنها كانت شاتية، ومما يزيد من هذه القيمة أن قائدها كان فقيهاً قاضياً ، وقبل هذا و ذلك فقد كان صحابياً .

إن اهتمام الخلافة الأموية بالبحر كما كان اهتمامها بالبر ؛ ليدل دلالة واضحة على يقظتها ضد الامبراطورية الرومانية أينما وجد لها قوة ، ولتبقى هيبة الإسلام والمسلمين عظيمة في نظرها ، ولتحسب لها ألف حساب .

---

(١) ابن كثير : الكامل في التاريخ ، ٨ / ٤٧ .

(٢) الذهبي : مصدر سابق ، ٣ / ١١٤ .

ومن خلال تناولنا لهذه الشاتية يمكننا أن نستنتج النقاط التالية :

١- قصر النص عند من تناول هذه الشاتية من المؤرخين الذين أشرت إليهم سابقاً .

٢- كانت غزوة مهمة لأنها حدثت في البحر أولاً ولأن قائدها صحابي حضر كل المشاهد مع رسول الله ﷺ وخاض غمار معارك أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين فضلاً عن عمله قاضياً .

٣- يقظة المسلمين ضد أعدائهم الرومان حتى لا يتمكنوا من المغامرة في الأراضي الإسلامية .

٤- حرص الخلافة الأموية واهتمامها بالأمور العسكرية وملاحقة الأعداء أينما وجدوا .

الشاتية الثالثة : شاتية بأرض الروم وقعت سنة ٥٥هـ وقائدها سفيان بن عوف على قول : (وفيها شتا سفيان بن عوف [١] بأرض الروم [٢]) ، وفي اقوال أخرى [٣] : (فيها من ذلك مشتا سفيان بن عوف الأزدي بأرض الروم ، وقال بعضهم : بل الذي شتا بأرض الروم في هذه السنة عمرو بن محرز [٤] ، وقال بعضهم بل الذي شتا بها عبدالله بن قيس الفزاري [٥] ، وقال بعضهم : بل ذلك مالك بن عبدالله [٦] ، ويختصر ابن الأثير أحداث هذه السنة على هذه الشاتية بقوله : (في هذه السنة كان مشتا

(١) سفيان بن عوف الأزدي من الأزد من المدينة المنورة ، لم أعثر له على ترجمة وقد ذكر أنه غزا بأرض الروم سنة ٥٢ فمات هناك ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ٨ / ٦٠ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٢٢٣ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٤٦

(٤) عمرو بن محرز : لم أعثر له على ترجمة .

(٥) عبدالله بن قيس الفزاري لم أعثر له على ترجمة .

(٦) لعله يقصد به مالك بن عبدالله الخثعمي الفلسطيني مالك السرايا ، توفي في حدود سنة ٦٠هـ أو بعدها ، قاد أربعين صائفة ، كما ذكر ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٤ / ١٠٩ — ١١٠ ، وله ترجمة عند خليفة بن خياط : طبقات خليفة بن خياط ، ترجمة ٧٢٩ ، البخاري : التاريخ الصغير ، ٩٤ .

سفيان بن عوف الأزدي بأرض الروم في قول ، وقيل بل الذي شتا هذه السنة عمرو بن محرز ، وقيل عبدالله بن قيس الفزاري وقيل : بل مالك بن عبدالله[1] .

اخترت هذه الشاتية مثالاً ثالثاً من الشواتي لأبين فيها رغم قصر نصها عند خليفة بن خياط أوجه الاختلاف فيها عند من جاء بعده ، وصمت من جاء بعدهم عنها مما جعل كثير من الأحداث بحاجة إلى إعادة تمحيص ، وحتى لا يتشتت فكر القارئ لتاريخنا ، وليتمكن من الوقوف على الحقيقة .

أقف مع هذه النصوص وقفة تأمل فأرى النص الأول الذي ذكره خليفة بن خياط أنه لم يذكر فيه اسم القائد كاملاً ، ولم يعن بنسبه فضلاً عن أنني لم أجد له ترجمة في طبقاته ولا عند غيره وربما لأن الاسم هكذا ذكر له ، أو لشهرته بهذا الاسم دون ذكره كاملاً أو منسوباً .

ومما يجدر ذكره أنه لم يحدد مكان غزو سفيان في هذه الشاتية بل اكتفى بذكر أرض الروم فقط ، ومما يلفت النظر أنه لم يذكر المدة التي قضاها في هذه الشاتية ولا النتائج التي حققتها .

وعند الانتقال إلى النص عند الطبري نجده قد ذكر اسم القائد منسوباً إلى الأزد ولكن الشك بدا عند الطبري فأسند القول في عدم إسناد الغزوة إلى سفيان ، فقال : وقال بعضهم بل الذي شتا بأرض الروم عمر بن محرز ، وهذا القول فيه تصويب من قبلهم باستعمال العطف بل ، ولم يكتف بذلك بل عدد أسماءً غيره قامت بهذه الغزوة وقال بعضهم : بل الذي شتا بها عبدالله بن قيس دون اكمال اسمه واسم الذي قبله ، بل نسب هذا القائد إلى بني فزارة ، وجرياً على عادة الطبري في تقدير الروايات فإنه يذكر أن الذي غزا هذه الشاتية مالك بن عبدالله المشهور بمالك الصوائف .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣ / ٢٤٨ .

لقد ذكر الطبري كعادته في سرد عدة روايات فضلاً عن أنه لم يرجح قولاً على قول آخر مما يدل على أنه لم يكن عنده يقين فيمن غزا هذه الشاتية ؛ غير أننا نلمح أنه أخذ بأسلوب الترتيب حسبما ذكر من كان قبله من المؤرخين ، وقد يحمل هذا الترتيب حقيقة أن الذي غزا هذه الشاتية هو سفيان بن عوف الأزدي .

ومما يجدر ذكره أن الطبري لم يحدد مكان هذه الشاتية كسابقه خليفة بن خياط ، ولا يدل ذلك على عدم دقة الطبري بمقدار ما يدل على أنه نقل الخبر بأمانة كما وصل إليه ، وعدد الأقوال الأخرى في القائد ، وهذا يدل على أن مكان الغزوة كان في أحد الثغور الرومية التي لم تحدد .

غير أن ما يلفت النظر عند ابن الأثير في هذه الشاتية قوله في هذه السنة كان مشتا سفيان بن عوف الأزدي . وكلمة مشتا تدل على المدة وربما تدل على فصل الشتاء الذي أمضاه هذا القائد في شاتيته ، وهذا يعني أنه احتاج إلى وقت طويل في الإعداد والتحضير ، ونظراً لنقله عن الطبري فإنه ذكر اسم القائد منسوباً إلى الأزد كما فعل الطبري من قبله ، وكان سجل ابن الأثير لهذه السنة أعني سنة ٥٥هـ قصيراً جداً فلم يسجل كثيراً من الأحداث فيها ، بل قصرها على هذه الشاتية .

أورد ابن الأثير القول دون إسناده إلى أحد أو إلى بعضهم فقال : في قول ، ثم يستعمل الفعل المبني للمجهول وقيل بل الذي شتا هذه السنة عمر بن محرز ، ومرة أخرى يستعمل الفعل وقيل : عبدالله بن قيس الفزاري ، وللمرة الرابعة يستعمل الفعل وقيل : بل مالك بن عبدالله . وأن المتمحص في هذا القول يستدل على أن ابن الأثير لم يعرف من قال ذلك ! في الوقت الذي أسنده الطبري إلى بعضهم وربما مرد

ذلك لأن ابن الأثير مال إلى تفسير وتصحيح ما ذهب إليه الطبري في تاريخه ، ويمكن تطبيق بقية المقولة عند ابن الأثير كما كانت عليه عند الطبري . ويشارك ابن الأثير الطبري ومن قبله خليفة بن خياط في عدم تحديد المكان ، بل في أرض الروم .

ومما يلفت النظر أن ابن كثير عندما يذكر أحداث سنة ٥٢هـ يقول ففيها : غزا بلاد الروم وشتا بها سفيان بن عوف الأزدي فمات هناك ، وهذا قول مفارق لما ذكرناه آنفاً وإن دل ذلك على شيء ، فإنما يدل على بعد العهد بين هذه الغزوة وبين ابن كثير مما جعل في هذا القول خلطاً واضحاً لأن من سبقه ممن ذكرنا من المؤرخين قد ذكروا بأنها حدثت سنة ٥٥هـ ، ومع احترامنا لتحقيق ابن كثير في كثير من الأمور وتمحيصها فإن الخطأ بدا واضحاً في حياة سفيان بن عوف الأزدي .

ومما سبق يمكننا استنتاج ما يلي :

١- للمرة الثالثة يبدو النص الخاص بالشواتي قصيراً ، ولذا اعتبرتها بأنها غزوة مثل سائر الغزوات وإنما خصها المؤرخون بهذا الشكل مع قصر النص تمييزاً لها عن الغزوات والمعارك .

٢- خلو النص من تفصيلات عن الانتصارات أو سير المعركة أو التحضير للشاتية .

٣- يمكن القول أنها كانت تحتاج إلى وقت طويل سواء في الاستعداد أم في البقاء في الثغور ويدل ذلك من كلمة مشتا .

٤- إن الاختلاف في اسم القائد عند من ذكر أوجه الاختلاف مرده إلى بعد العهد عن تاريخ المعركة ، غير أننا نلمح اعتمادهم على الاسم الأول في مثل هذه الأحوال ، ويبدو ذلك من ذكرهم إياه أولاً ثم إيراد أوجه الاختلاف .

٥- ثبوت حدوث هذه الشاتية مع الاختلاف اليسير في تاريخ حدوثها .

٦- الأمانة الواضحة في النقل وذلك بوضع الرأي الثابت ثم إيراد أوجه الاختلاف .

الشاتية الرابعة : حصن طُوَانة[1] : ومكانها بثغر المصيصة بأرض الروم، وقادها مسلمة بن عبد الملك و ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وتاريخها سنة ٨٨هـ شتاءً .

وقد ذكر هذه الشاتية خليفة بن خياط بقوله : (وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، فرابطا في انطاكية وشتوا بها ، فجمعت لهم الروم كثيراً ، فزحفوا إليهم فهزم الله الروم وقتل منهم بشراً كثيراً ، يقال : خمسين ألفاً ، وفتح الله جرثومة[2] وطوانة[3] .

ونجد النص عند الطبري يطول أكثر مع بعض التفصيل : (من ذلك ما كان من فتح الله على يد المسلمين حصناً من حصون الروم يدعى طوانة في جمادي الآخرة وشتوا بها)[4] .

ويفصل هذه الشاتية من رواية الواقدي قائلاً : (كان فتح طوانة على يد مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ، وهزم المسلمون العدو يومئذ هزيمة عظيمة وصاروا إلى كنيستهم ، ثم رجعوا فانهزم الناس حتى ظنوا ألا يجتبروها أبداً ، وبقي العباس ومعه نفر منهم ابن محيريز الجمحي فقال العباس لابن محيريز : أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن محيريز : نادهم يأتوك ، فنادى العباس : يا أهل القرآن ، فأقبلوا جميعاً فهزم الله العدو حتى دخلوا طوانة ...)[5]

ونجد النص عند ابن أعثم يربو على ٢٢ صفحة ويجعل خروج مسلمة بن عبد الملك ، وعمه محمد بن مروان ، وابن عمه محمد بن عبد العزيز ، ويوضح نتائج هذه

(١) طوانة : بلدة بثغور المصيصة والحصن بها ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤ / ٤٥ — ٤٦ .
(٢) جرثومة : لم أجدها ، ويبدوا أنها قرب طوانة من خلال النص .
(٣) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٢٩١ .
(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٣ / ٥٢٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ٥٢٦ .

الغزوة والغنائم التي حصل عليها المسلمون ، لكنه يدمج هذه الغزوة لثلاثة أماكن هي عمورية وانطوانة التي هي طوانة والنقفورية[1] ، ويدفعني ذلك إلى أن آخذ بعض النصوص التي لها علاقة بهذه الغزوة بشكل مختصر .

ونأخذ النص عند ابن الأثير فنجده يقول : (في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم ... وقطع الوليد البعث على أهل الشام إلى أرمينية وأكثر وأعظم جهازه ، وساروا نحو الجزيرة ثم عطفوا منها إلى أرض الروم ، فاقتتلوا هم والروم ، فانهزم الروم ، ثم رجعوا فانهزم المسلمون فبقي العباس في نفر منهم ابن محيريز الجمحي ، فقال له العباس : اين أهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن محيريز : نادهم يأتوك ، فنادى العباس : يا أهل القرآن فأقبلوا جميعاً فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة وحصرهم المسلمون وفتحوها في جمادي الأولى)[2] .

اخترت هذه الشاتية من الشواتي الأموية نظراً لأن قادتها كانوا من بيت الخلافة أولاً ، ثم لاختصاص مسلمة بن عبد الملك بقتال الروم وكثرة فتوحاته ثانياً ، ولطول نصوصها ولو بشكل متفاوت ثالثاً ، ولاحتوائها على الأسباب والنتائج رابعاً ، ولأوضح ما ذهبت إليه ، بواعث وأسباب الشواتي الذي تناولته سابقاً كي تكون شاهدة على ذلك .

أبدأ بالتعرف على بواعث هذه الشاتية فنجد خليفة بن خياط لم يذكر أسباب هذه الشاتية ، وقد سار على منهجه الطبري فلم يذكر الأسباب أيضاً ، وسار على هذا المنوال ابن الأثير ، وإذا عدنا إلى ابن أعثم فإننا نجده يذكرها بقوله :

---

(١) ابن أعثم : الفتوح ، ٤ / ١٢٢ — ١٤٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٤ / ١٠٨ — ١٠٩ .

(وتحركت الروم بأرض القسطنطينية وغيرها من بلاد الروم ، فاجتمعوا في خلق عظيم وعزموا على مفاجأة المسلمين في دارهم وأخذ الشام من أيديهم ، وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فنادي في أهل الشام فجمعهم في المسجد الأعظم ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس إن العدو قد كلب عليكم وطمع فيكم ، وهنتم عليه لترككم العمل بطاعة الله تعالى ، واستخفافكم بحق الله ، وتثاقلتم عن الجهاد في سبيل الله ، ألا وإني قد عزمت على بعثكم إلى أرض الروم فما عندكم من الرأي ؟)[1]

إذن فالسبب في هذه الشاتية هو محاولة العدو الرومي استرداد بلاد الشام من المسلمين ، ويبدو فيها تلبية النداء واضحةً من دار الخلافة لقارعة الأعداء وسد الثغور ، ويستدل من هذا النص أن عبد الملك كان يأخذ برأي الأمة فيشاورهم في الأمر . ويبدو من خلال قول عبد الملك أنه يرجع أسباب ضعف المسلمين إلى : ترك طاعة الله سبحانه وتعالى : وخروجهم أو استخفافهم بها ، والتقاعس عن الجهاد والذي هو من أهم أسباب ضعف هذه الأمة حتى غزاها الأعداء في عقر دارها .

ولعمري إن صح هذا الخبر عن الروم في ذلك الوقت ، وهم قد تركوا بلاد الشام في فترة قصيرة لا تزيد عن السبعين عاماً فإن حرب الاسترداد تبدو واضحة في حركتهم هذه ، وهي بادرة زرع أسفين الحروب الصليبية التي ستكون في القرن الرابع الهجري .

وأقول بحق هذا المؤرخ أنه كان واعياً لما يقول ممحصاً للأخبار دقيقاً في نقلها ونقل صورتها ، كما في حركات وكلام عبد الملك بن مروان من جمع المسلمين وإلقاء الخطب فيهم .

---

(١) ابن أعثم : الفتوح ، ٤ / ١٢٢ .

لم نجد ترتيب الحملة وطريقة القتال واضحة عند خليفة بن خياط ولكن حركة فرار المسلمين بدت واضحة عند الطبري وابن الأثير ، فضلاً عن طريقة جمعهم بقول مسلمة لهم يا أهل القرآن فأقبلوا جميعاً ولا يُذم هؤلاء المؤرخون لأن هذا رأيهم في تدوين الأحداث ، وإذا ما عدت إلى ابن أعثم فإنني ألمح جلياً طريقة ترتيب الشواتي وطريقة القتال عندما يقول : فاجعل عمك محمد بن مروان على ميمنتك ، واجعل ابن عمك محمد بن عبد العزيز على ميسرتك ، واجعل محمد بن الأحنف بن قيس على طلائعك ، وعبد الرحمن بن صعصعة بن صوحان على جناحك واعتمد في حربك على البطال بن عمر [1] .

وإذا ما عدت إلى تاريخ هذه الشاتية وجدت خليفة بن خياط لم يحدد الشهر بل حدد السنة ٨٨هـ ، وعند الطبري وابن الأثير نراهما يحددان الشهر والسنة فالشهر عند الطبري شهر جمادي الآخر وعند ابن الأثير جمادي الأولى ، ولم نجد لهذه الشاتية تاريخاً عند ابن أعثم ، لكن الاتفاق عند المؤرخين الثلاثة معروف أنها في وقت الشتاء بينما نجد ابن أعثم يقول : (ثم أمر مسلمة بالغرس فغرسوا الكروم وأنواع الفواكه) ، ولا يكون هذا الزرع إلا في أواخر الشتاء مما يدل على أنها شاتية[2] .

وحول مكان الشاتية يتضح لنا من خلال النصوص السابقة أنها جرثومة وطوانة عند خليفة بن خياط وهي طوانة عند الطبري وابن الأثير ، في الوقت الذي يجعلها ابن أعثم ثلاثة فتوح وهي طوانة وبعدها عمورية والنقفورية والسماوية[3] ،

---

(١) ابن أعثم : الفتوح ، ٤ / ١٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ٤ / ١٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ٤ / ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .

ومرد هذا الاختلاف ما ذهبت إليه سابقاً من أن الحملة كانت تسير فتحارب وتفتح ما يعترضها من أراضي العدو أولاً ، ثم ما يناسبها بعد تحقيق هدفها ثانياً ، وحسب تحرك العدو ثالثاً .

غير أن ما يلفت النظر في هذه الشاتية انهزام المسلمين أولاً ، وتقدم الروم ثانياً، ولا نلمح ذلك واضحاً عند خليفة بن خياط بل نجده جلياً عند الطبري ، وابن أعثم الذي قال :(وانكشف القوم كشفة قبيحة)[1] .

ومما يلفت النظر اتفاق المؤرخين الأربعة على كثرة جمع الروم كما يبدو في النصوص السابقة ونجد ابن أعثم يشير إلى ذلك في عدة مواضع منها (أن الروم سيلقونك بجيش كثير وجمع كبير)[2] ويكفي ما أشار إليه من أن جيش نقفور بلغ (سبعين ألف عنان سوى الرجالة)[3] .

وثبت لدى هؤلاء المؤرخين الأربعة انتصار المسلمين وبدا واضحاً في النصوص السابقة ودخولهم طوانة ، ومما اتفق عليه اثنان من المؤرخين كثرة عدد القتلى في جيش الروم فهم خمسون ألف قتيل عند خليفة بن خياط ، ، وعند ابن أعثم حتى صارت القتلى بينهم كالتلول[4] ، في الوقت الذي أحجم عن ذكره كل من الطبري وابن الأثير كما يبدو من تصميمهما السابقين .

ومما يلفت النظر أن كل من خليفة بن خياط والطبري وابن الأثير لم يذكروا غنائم المسلمين في هذا الفتح . بينما يذكرها ابن اعثم مفصله : في طوانة غنم المسلمون : (شيئاً

---

(١) ابن أعثم : الفتوح ، ٤ / ١٣٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ٤ / ١٣٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ٤ / ١٣٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ٤ / ١٣٨ .

كثيراً وخيلاً وبغالاً وحميراً وذهباً وفضة وأثاثاً فاخراً)[1] ، وفي عمورية (مائتي ألف مثقال من الذهب والفضة سوى الأمتعة والبغال والحمير)[2] وأما في نقفورية فبلغت (مائة وثمانين ألف مثقال من الذهب والفضة سوى الدواب والأمتعة والرقيق)[3] .

ومما يستدعي النظر الاختلاف في أسماء قادة هذه الشاتية مما جعلني أتناولها مؤخراً في هذا التحليل وهذه المقارنة ، فقد ذكر خليفة بن خياط تأكيداً على أن القادة فيها هما : مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ، ولم يذكر غيرهما من أعلام هذه الشاتية . وجاء دور الطبري وابن الأثير فأكدا ذلك وأضافا إليهما رجلاً بارزاً وهو ابن محيريز الجمحي ، وكان يشير على العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وقد ذكرنا أن ابن أعثم عدد القادة والبارزين في هذه المعركة ، فالقائد العام فيها مسلمة بن عبد الملك ، ونائبه محمد بن مروان ، ومن بعده حمد بن عبد العزيز ، وأظهر دور الطلائع بقيادة محمد بن الأحنف بن قيس ، وعبد الرحمن بن صعصعة بن صوحان على جناح مسلمة ، والبطال بن عمر مقاتلاً شجاعاً . ولم يظهر دور العباس بن الوليد بن عبد الملك .

ومرد هذا الاختلاف ربما كان لاختلاف الرواية أولاً ، ولكثرة الشواتي ثانياً ، غير أن اتفاق المؤرخين على مسلمة بن عبد الملك مرده لما عرف عن هذا القائد من كثرة المعارك ومقارعة الروم .

ومما أسلفنا يمكننا أن نصل إلى النتائج التالية :

(١) ابن أعثم : الفتوح ، ٤ / ١٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ٤ / ١٣٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ٤ / ١٣٨ .

١- إن النص عند خليفة بن خياط جاء أطول من الشواتي السابقة ، وهو أطول وأكثر توضيحاً عند الطبري وابن الأثير ، وذكر مطولاً عند ابن أعثم كما أسلفت إلى ذلك .

٢- بدا تحرك أعداء الخلافة واضحاً كما ذكر ابن أعثم ، وكان العدو اللدود لها في ذلك الوقت الرومان .

٣- يقظة دار الخلافة لتحركات العدو ومبادرة الأمور كي تقضي على تحركاتهم .

٤- مشاورة المسلمين في أمور الحرب والقتال وسد الثغور .

٥- وضوح طريقة الاستعداد للشواتي ، وطريقة تنظيم الحملات ، وطريقة إدارة هذه الشواتي .

٦- إن الانتصار لم يكن دائماً حليفاً للمسلمين ، وإنما الحروب تكون دائماً بين كر وفر .

٧- ومما يلفت النظر كثرة عدد وجمع الأعداء ضد المسلمين .

٨- محاولة الأعداء انتهاز كل فرصة يرون فيها إمكانية الانتصار على المسلمين واسترداد الأراضي التي كانت لهم عليها سيطرة .

ثانياً : الصوائف :

غزا المسلمون إبان الخلافة الأموية ما يقارب الأربعين صائفة وعرفنا سابقاً بروز كثير من القادة ومنهم أبناء الخلفاء ، وأتناول بعض الأمثلة على هذه الصوائف ومنها :

الصائفة الأولى : صائفة عبدالله بن قيس الفزاري كما ذكرها الطبري[1] وكذلك قال ابن الأثير : (وصائفة عبدالله بن قيس الفزاري)[2] وتاريخها سنة ٤٨هـ ، ولم يذكرا مكان حدوثها .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٣ / ١١٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣ / ٢٢٧ .

مما يلفت النظر في هذه الشاتية أن خليفة بن خياط[1] لم يذكر هذه الصائفة وهو المؤرخ الحولي ! وقد أهملها أيضاً ابن كثير وقد جاءت أحداث هذه السنة قصيرة عنده[2] .

ويبدو الاتفاق واضحاً عند الطبري وابن الأثير في عدة مواضع :

أ- يقول الأول من أحداث سنة ٤٨هـ : (وصائفة عبدالله بن قيس الفزاري) ومثله ما ذكرت عن ابن الأثير .

ب- الاختصار الشديد في ذكرها كما يبدو من النصين السابقين دون توضيح .

ج- الاتفاق في الاسم والمطابقة في ذكره دون اختصار أو إطالة .

د- اغفال مكان وقوع الصائفة ، وكأن الأمر مسلم لديهما بحدوث هذه الصائفة فقط ، مما يدفعني للقول بأنها وقعت في الثغر الشامي على الحدود الرومية .

الصائفة الثانية : صائفة العمق وتاريخها سنة ٧٥هـ ، ومكانها العمق[3] ، وقائدها من الطرف العربي الإسلامي محمد بن مروان ، وهو ابن مروان بن الحكم ، وأخو عبد الملك بن مروان ، وقد ذكرها خليفة بن خياط بقوله : (وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة عند خروج الروم إلى العمق من ناحية مرعش)[4] ، وعند الطبري : (فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حيث خرجت الروم من قبل مرعش)[5] وعند ابن الأثير : (ومنها غزا محمد بن مروان الصائفة عند خروج الروم إلى

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٧ / ٣٤ .

(٣) العَمْقُ : عدة مواضع والمعني بهذا الاسم الكورة التي بنواحي حلب والتي كانت من أعمال انطاكية ، كما ذكرها ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤ / ١٥٦ ، وقد وردت بلفظ الغنيق عند ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٤ / ٤١ .

(٤) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ٢٧٢ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٣ / ٤١٣ .

العنيق[1] من ناحية مرعش)[2] وذكرها ابن كثير بقولة : (ففيها غزا محمد بن مروان أخو عبد الملك بن مروان والد مروان الحمار[3] – صائفة الروم حين خرجوا من عند مرعش[4] .

ولي مع هذه الصائفة عدة وقفات منها :

أ- تاريخ هذه الصائفة : اتفقت المصادر السالفة الذكر على تاريخها وأنها وقعت سنة ٧٥هـ ، غير أنه مع الاتفاق على هذه السنة إلا أنه لم يذكر اليوم أو الشهر رغم هذا الاتفاق عند جميع من تناولها .

ب – أسباب هذه الصائفة : اتفقت المصادر السابقة الخاصة بهذه الصائفة على أسباب وقوعها وهو خروج الروم على المسلمين من ناحية مرعش وكأني بالروم قد استغلوا ظروفاً من ظروف المسلمين فخرجوا إليهم ، ويبدو مقصدهم بلاد الإسلام من هذه الناحية مقصوداً إما لضعف الأوضاع العسكرية من ناحية مرعش أولاً أو لزيادة قوة الروم في هذه الناحية ورغبتهم في السطو على هذه المنطقة ثانياً أو للاستيلاء على مناطق أخرى قريبة من دار الخلافة الإسلامية ثالثاً .

ج- اتفاق المصادر على خروج الروم من ناحية مرعش تحديداً وكأن أصحاب تلك المصادر قد عرفوا بل وحددوا مكان خروج الروم .

د- دقة التحديد في مكان الخروج فهي العمق عند خليفة بن خياط وهي العنيق عند ابن الأثير ، والاختلاف في هذا الاسم مرده إلى اختلاف في النقل أولاً وهي

(١) العنيق : هي العمق كما ذكرت في الحاشية الأولى .

(٢) ابن الأثير : مصدر سابق ، ٤ / ٤١ .

(٣) مروان الحمار : هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية وإنما لقب بالحمار لكثرة قتاله لأعدائه ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ٢٩٣ وقيل لشدته في القتال وقد كان ينازل المائة مقاتل .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٨ / ٩ / ٨ .

الأصوب عند خليفة بن خياط لأنها ذكرت عند ياقوت الحموي كما أشرت سابقاً ثانياً، أو لبعد تاريخ النقل عند ابن الأثير ثالثاً .

هـ - غير أن أوجه الاختلاف بين أصحاب تلك المصادر كان في اللغة نفسها فقط ومن ذلك : ما ذكره خليفة بن خياط بقوله من ناحية مرعش ، فكأنما القصد هو أطراف مرعش أو إحدى ضواحيها التي هي العمق ، ويوافقه في القصد هذا ابن الأثير ويحددها وكأنها أطراف أو نواحي مرعش بأنها العنيق . وخالفهما الطبري عند قوله من قبل مرعش فهو لم يحدد المنطقة التي خرج إليها الروم لكنها تفهم من النص بأنها قريبة من مرعش ، وكذلك مع اختلاف اللفظ ذكر ابن كثير من عند مرعش وكأنهُ الطبري قصدا العمق دون الإشارة إليها .

و- غير أن جميع هذه المصادر متفقة على عدم تحديد قوات محمد بن مروان الخارجة معه لهذه الصائفة ، وكذلك على عدم ذكر قوات الروم التي خرجت إلى ديار المسلمين من ناحية مرعش .

ز- اتفقت المصادر السابقة على عدم تحديد الخسائر والغنائم عند الطرفين ، ولم تنعت عودة الجيش الإسلامي أو القائد بأنهم عادوا أو رجعوا سالمين غانمين .

ي- والذي يتمعن في الملاحظتين الأخيرتين يمكنه استنتاج بعض الأمور منها :-

١- ربما كانت هذه الصائفة قليلة الأهمية ، فقد خرجت الروم مستعرضة قواتها وعضلاتها أمام قائد أو حراس هذه الثغر من المسلمين .

٢- ربما كان خروج الروم سريعاً وربما سمعوا بقدوم المسلمين فولوا الأدبار منهزمين، وكثيراً ما كانت تحدث مثل هذه المواقف .

٣- وقد يكون انتصار المسلمين سريعاً على الروم بحيث لم تدون أحداث هذه الصائفة ولا نتائجها .

٤- ربما كان جيش المسلمين كبيراً جداً بحيث تمكن من سحق جيش الروم فلم يتمكنوا من تسجيل جل هذه الأحداث .

ومع ذلك فإن هذه الغزوة قد لفتت أنظار هؤلاء المؤرخين فذكروا وهبوا لتدوينها وربما كان السبب في هذا الاهتمام خروج الروم إلى أرض المسلمين ، وربما كان سكوتهم عن ذكر نتائجها أن المسلمون انتصروا وعادوا سالمين ، غير أن هذه الصائفة كانت تثير انتباه دار الخلافة إلى الثغور وحمايتها فكانت تخيف الطامعين في أراضيهم .

الصائفة الثالثة : الصائفة اليمنى وكانت بتاريخ ١٠٨هـ ومكانها الجهة اليسرى من الثغر الرومي وعلى وجه التحديد قيسارية[١] وقائد هذه الصائفة مسلمة بن عبد الملك بن مروان وهو قائد عسكري اشتهر بفتوحاته الكثيرة وخاصة في بلاد الروم ، وهو ابن الخليفة بن عبد الملك بن مروان .

ذكر هذه الصائفة وبهذا الاسم خليفة بن خياط ، فقال : (وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الصائفة اليمنى)[٢] . ونجد الطبري يذكرها فيقول : (ففيها كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية مدينة الروم مما يلي الجزيرة[٣] ففتحها الله على

(١) قيسارية : مدينة عظيمة ببلاد الروم وهي كرسي ملك بني سلجون ملوك الروم أولاد قليج بن أرسلان ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤ / ٤٢١ — ٤٢٢ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٣٣٨ . وسأفصل سبب التسمية باليمنى لاحقاً .

(٣) الجزيرة ، يقصد بها جزيرة أقور التي تقع بين دجلة والفرات في الأراضي التركية حالياً ، ذكرها ؛ ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ٢ / ١٣٤ — ٣٦ .

يديه[1] ويذكر ابن الأثير وهو الناقل عن الطبري فيقول : (في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم مما يلي الجزيرة ففتح قيسارية ، وهي مدينة مشهورة)[2] أما ابن كثير فيقول : (ففيها افتتح مسلمة بن عبد الملك قيسارية من بلاد الروم)[3] .

نظراً لكثرة غزوات مسلمة بن عبد الملك ومنها الصوائف فقد أراد خليفة بن خياط أن يميزها عن غيرها فجعلها الصائفة اليمنى ، وهناك عدة صوائف ، الصائفة اليسرى ، والصائفة الصغرى والصائفة الكبرى وصائفة البحر ونظراً لتخصيصه إياها بالصائفة اليمنى فهي صائفة مما خاض مسلمة بن عبد الملك .

وهي عند الطبري وابن الأثير من خلال النصين السابقين غزوة إذ يقولان (كانت غزوة مسلمة وغزا مسلمة) ، وهذا دليل على كثرة غزواته مما جعلهما يخلطانها مع غزواته دون تمييز لها بأنها صائفة .

وعند ابن كثير فهي فتح كما يبدو من نصه السابق إذ يقول : (ففيها افتتح مسلمة بن عبد الملك) ، وهذا أمر كبير وهو استمرار للفتوحات الإسلامية في العصر الأموي الذي اتسعت فيه الفتوحات وكانت جلها بأوامر وإشراف من دار الخلافة .

والذي يتتبع النصوص السابقة يمكنه استخلاص النقاط التالية :

أ- لم يحدد خليفة بن خياط موقع هذه الصائفة بالتحديد بل سماها بالصائفة اليمنى وكأنما سمى هذا الثغر بالجهات فالجهة اليمنى التي تقع على الحدود الشمالية الشرقية من بلاد الشام والمتاخمة للحدود الرومية من هذا الثغر ، والجهة

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤ / ٢٣ .
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٤ / ١٩٩ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٩ / ٢٦٧ .

الشمالية الغربية تكون اليسرى لمن يقصد من بلاد الشام أرض الروم ، ولم يوضح لنا نتيجة من نتائج هذه الصائفة أو ما ترتب عليها .

ب- وهي محدودة عند الطبري بمكان وصول مسلمة إذ يقول حتى بلغ قيسارية وبلوغ المكان الوصول إليه غير أن الطبري قد رتب على هذا البلوغ نتيجة وهي أن الله فتحها على يديه وجعلها غاية في العمق في الأراضي الرومية حتى بلغ قيسارية .

ويجعل الطبري قائد الغزوة في هذه السنة – أعني ١٠٨ هـ ، النعمان بن يزيد بن عبد الملك قائلاً : (فمن ذلك غزوةو النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة)[١] . وسار على منهج الطبري ابن الأثير وهو الذي ينقل عنه كتابة قائلاً : (وفيها غزا النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة)[٢] وسار على هذا النهج ابن كثير قائلاً :(وفيها غزا النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة من بلاد الروم)[٣] . مع ذكر مكانها .

إن مما يلفت النظر في هذه الصائفة الاختلاف في أمور والاتفاق في أمور أخرى أتناولها على النحو التالي :

أ ـ أوجه الاختلاف :

١- خالف خليفة بن خياط كلاً من الطبري وابن الأثير وابن كثير في الاسم الأول لقائد هذه الحملة فهو عنده الغمر وعندهم النعمان ، مما دفعني للقول في هذا الموضوع أن النعمان له اسمان الأول الغمر ، والثاني النعمان ، وهذا الأمر ليس غريباً أولاً، ثم إن خليفة بن خياط توصل إلى هذه الرواية وتحقق منها فكان على صواب ثانياً ، وربما

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤ / ١٠١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٤ / ٢٦١ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٩ / ٣٦٥ .

تحقق لدى الطبري الخبر اليقين بأن اسمه النعمان ثالثاً وجرى على لسان ابن الأثير النعمان كيف لا ! وهو الناقل عن الطبري ، وكذلك فعل ابن كثير في أخذه عنهما ثالثاً . وأنا أرجح أن يكون الغمر والنعمان اسمان لشخص واحد ، وبالرجوع إلى الذهبي لم نجد للغمر أثراً في سيرة أبيه أو جده ولا سيرة له عنده[1] .

٢- وهي فتح عند ابن الأثير ، وابن كثير فعند ابن الأثير فتح مقصود ، ومعد له ، ومحضر له ، كذلك ابن كثير وهو قصد مكان لغاية فتحه بقوله :(افتتح مسلمة بن عبد الملك قيسارية) .

ب ـ أوجه الاتفاق :

١- ومما يلفت النظر اتفاق جميع من تناول هذه الصائفة على أن الفتح قد تم في سنة ١٠٨هـ بثقة وتأكيد دون الميل إلى قول أو زعم .

٢- إن عملية الفتح هذا ترتب عليها مما لا شك فيه النصر الذي حققه مسلمة بن عبد الملك في فتح مدينة قيسارية ، ويترتب على هذا النصر الحصول على غنائم ، وهذا مالم يذكره أي مؤرخ ممن تناول هذه الصائفة .

٣ - إن قصد قيسارية لفتحها يتطلب إعداداً واستعداداً لخوض معركة الفتح هذا ، ولم يُبد أي من هؤلاء المؤرخين أي قول في هذا المجال .

ومهما تكن وجهات النظر في هذه الصائفة فإنه يمكننا أن نحقق بعض الأمور ومنها :

- إنها كانت صائفة بقيادة مسلمة بن عبد الملك مؤكده وإن لم يذكر لفظ الصائفة في النصوص السابقة إلا عند خليفة بن خياط .

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٤ / ٢٤٦ ، ٥ / ١٥٠ .

- إنها حققت نتائج طيبة تمثلت بالنصر ، والفتح ، والغنائم ، والعودة بالسلامة ، وإن لم يشر أي من هؤلاء المؤرخين بشيء من ذلك .

الصائفة الرابعة : صائفة الغمر بن يزيد بن عبد الملك ، وقد حدثت سنة ١٢٥هـ ، كما ذكرها خليفة بن خياط بقوله (ففيها غزا الغمر بن يزيد بن عبد الملك الصائفة)[1] .

وأتناول فيما يلي أوجه الاختلاف والاتفاق عند من تناولها :

أ ـ أوجه الاختلاف :

ومن أوجه الاختلاف عند من تناول هذه الصائفة عدم تحديد مكانها عند كل من خليفة بن خياط والطبري وابن الأثير ، بينما نجد ابن كثير يذكر أنها كانت من بلاد الروم . وهذا يؤيد ما ذهبت إليه سابقاً بأن الصوائف في العصر الأموي كانت تقصد بلاد الروم وكأنه أمر مسلم به أولاً ، ولذلك لم يذكروا مكانها ثانياً ، غير أن ابن كثير قد حدد وجهة هذه الصائفة ، وهي من بلاد الروم دون تحديد المكان المقصود من هذه البلاد ، وكأنه مسلم بمكان الغزوة ، أو يوجد لديه شك ولم يحدد المكان أو يوجد لديه عدم دراية في مكانها فجعلها على هذه الشاكلة .

ب ـ أوجه الاتفاق :

والذي يدقق النصوص السابق ذكرها يمكنه أن يلمح أوجه الاتفاق بين هؤلاء المؤرخين ومن ذلك :

١- الاتفاق على جعل هذه الصائفة سنة ١٢٥هـ ، وإن لم يحدد تاريخ خروجها ولا تاريخ وصولها ولا انتهائها فضلاً عن عدم تحديد الشهر واليوم لها .

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٣٦٢ .

٢- الاتفاق على أن قائد هذه الصائفة هو ابن الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك وأن اختلف في اسمه .

٣- الاتفاق على أنها كانت صائفة ، وليست غزوة عادية بدلالة اللفظ عندهم (الصائفة) مكرراً أربع مرات .

٤- الاتفاق على عدم ذكر من أمر بهذه الصائفة ولا طريقة الإعداد والاستعداد لها فضلاً عن عدم ذكر نتائجها ولا ذكر الغنائم والخسائر التي نالها أو مني بها أحد الطرفين من المسلمين والروم .

٥- قصر النص وعدد كلماته وقد بلغت ٨ كلمات عند خليفة بن خياط و ٩ كلمات عند الطبري وثماني كلمات عند ابن الأثير و١٠ كلمات عند ابن كثير .

المبحث الثاني : الشواتي والصوائف في الأندلس

أولاً : الشواتي :

قبل الشروع في دراسة الشواتي في الأندلس لا بد من إيراد نبذة بسيطة عنها فهي تبدو قليلة رغم طول العهد الإسلامي فيها وأخص بهذا العهد بداية الاستقلال الأموي في الأندلس وحتى سقوط هذا الفردوس الضائع كما يحلو التغني به والإشارة إليه ، وقد مرت تلك الديار بمرحلة الفتح الإسلامي ، ثم بمرحلة التأسيس الأموي بعد سقوط الحكم الأموي في الشرق ، ثم جاءت الحرب المضادة وما عاصرها من ثورات، وجاءت حرب الاسترداد التي مهدت لسقوط الأندلس عندما غدا لكل مدينة ملك أو حاكم ونحو ذلك .

ومن جهة أخرى لقد بـ ت هذه الشواتي قليلة ومرد ذلك للظروف المناخية من بـرد الشتاء وثلجه الأمر الذي لم يرغب العرب المسلمون في التحرك في هذا الفصل ، فضلاً عن قلة حركة أعداء الإسلام في فصل الشتاء ؛ مما جعل الشواتي قليلة في هذا العصر ، ولا بـد من الإشارة إلى أن المؤرخين لم يولوا هذا اللون من الأعمال العسكرية الانتباه الكافي .

سأتناول في هذه الدراسة ثلاثة شواتي برز فيهـا قائـدان مـشهوران لهمـا بـاع طويل في هذا المجال ، وسأشير إلى كل واحد منهما عند الحديث عن الشاتية التي خرج بها ومن ذلك :

الشاتية الأولى : شاتية جبل إيرش ، وقد حدثت سنة ٢٩٧هـ وقائدها أحمد بن محمد بن أبي عبدة ، القائد الذي برز في هذا العهد ، ويعلمنا ابن عذاري قائلاً : (وشتا القائد هذه السنة بجبل إيرش من كورة قَبْرة ، وكانت له في هذه الشتوة حركات بالغة في نكاية أهل النفاق)[١] ، وقيل بقلعة أرش بريَّة[٢] وهو مكان هذه الشاتية على وجه التحديد .

لقد بدا واضحاً من خلال هذا النص سبب حدوث هذه الشاتية وهي تأديب أهل النفاق والذي وصل إلى درجة النكاية[٣] ، وهي درجة الغلبة والهزيمة ، فكان أكثر من التأديب ، ويستشف من ذلك أن سكان تلك المنطقة كانوا خارجين عن الطاعة ، فخرج إليهم وهزمهم هزيمة منكرة ، ويستدل على ذلك من قول المؤرخ أهل النفاق ، فهو يود أن يبرز أن من كان في طاعة الأمير كان على حق ويسير في الطريق السوية ، ولما خالفوا أمر الأمير صاروا من أهل النفاق .

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢ / ١٤٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ١٤٦ ، ح ، ١ .
(٣) ابن منظور : لسان العرب ١٤ / ٢٧٥ ، عم ، ١ ، باب نكأ .

وإذا رجعنا إلى ما قبل هذه الكلمات وجدنا المؤرخ قد ذكر أن لهذا القائد حركات بالغت في نكاية أهل النفاق ، وهذا يعني أن هذا القائد قد حاربهم عدة مرات كما يبدو من هذه الحركات ، وأنه كان ينتصر عليهم في كل مرة يهاجمهم ، وبلغ هجومه عدة مرات حسبما تشير هذه الحركات .

بعد أن عرفنا سبب هذه الشاتية ، وبالرجوع إلى النص نجد المؤرخ يقول : وشتا القائد هذه السنة بجبل إيرش من كورة هبرة ، وهذا يدلنا على أمرين بارزين هما :

الأول : أنه قبل هذه الشاتية حضر للإقامة في هذا المكان معداً الزاد والعتاد والعدة لأنه سوف يشتو فيه .

الثاني : أنه أقام في هذا المكان فترة الشتاء ولم يكن مروره به عابراً ، يقول المؤرخ : (وشتا) .

ويبدو من خلال النص السابق ذكره والخاص بهذه الشاتية أنه اشتمل على وصف لهذه الشاتية من ناحية : المكان ، ومدة الإقامة ، ونتائج هذه الشاتية وهي الانتصار على أعدائه الذين نكا بهم نكاية ، فجاء هذا النص شاملاً وليس كاملاً ويبدو النقص في عدم ذكر الأمور التالية صراحة وهي :

١- لم يذكر المؤرخ شيئاً من أمر هذا القائد بهذه الشاتية .

٢- لم يذكر المؤرخ عدد الجيوش التي سارت مع هذا القائد .

٣- لم يشر إلى عدد قتلى الطرفين المتحاربين .

٤- لم يسم اسم قائد الخارجين أعني أهل النفاق .

٥- لم يبين تاريخ خروج هذا القائد ، ولا اسم البلد التي خرج منها مما يدفعني للقول أنه ربما كان قائداً لهذه المنطقة ، أو كان حاكماً لمنطقة قريبة منها .

غير أنني أكاد أجزم أنـه مـا خـرج إلا بـأمر الأمـير الحـاكم للأنـدلس ، لأن حركـة الجيوش في هذا العهد كانت بأمر أمير الأندلس ، وهو عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم وهو الذي ثارت عليه الحصون[1] وقد بويع له سنة ٢٧٥ هـ وتوفي سنة ٣٠٠هـ .

الشاتية الثانية : وقعت هذه الشاتية في ذي القعدة سنة ٣٩٦هـ ، وكان قائدها الحاجب عبد الملك بن أبي عامر ، وكان قصده شنت بوانش من أرض بنبلونة كما يعلمنا ابن عذاري بقوله : (فرحل عنه إلى شنت بوانش فجالت الخيل في بسائطه فبلغت من انتسافها أبعد غاية ، وما زال العسكر يجول في بلاد العدو يسبي ، ويقتل، ويحرق ، ويهدم ، وأصاب الناس في هذه المحلة هول عظيم من مطر شديد أصابهم ببرد كثير ، وبرق متتابع ، ورعد قاصف ارتاع الناس جداً وتتالى البرق وجاءت في أثره قصفات منزعة ألبست الناس خشوعاً واستكانة وخافوا حلول العذاب فجهروا إلى الله ضارعين في كشف مابهم)[2] .

جاء هذا النص أطول من نص الشاتية الأولى ، وهو يحمل وصفاً شاملاً لأحوال البلاد التي سار بها الجيش بخيله ، وتفصيلاً دقيقاً للأحوال المناخية السائدة في تلك الديار ، فضلاً عن حركة الفتح فيها وأتناولها على النحو التالي :

١- خرج الحاجب عبد الملك بن أبي عامر غازياً فوصل أرض ابنيوش التي رحل أهلها عنها ، وهذا يدلنا على قوة جيش الحاجب عبد الملك أولاً ، وخوف أهل تلك الديار منه حتى فروا منها ، وكانت غزوته هذه الغزوة الرابعة التي كانت يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة من شوال[3] .

---

(١) القضاعي : عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف (تحق) عبد الرحيم محمد علي ، ١٨٧ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ٦ / ١٤٣ ، ١٩٠، ابن عذاري ٢ / ١٢١ — ١٥٦ .

(٢) ابن عذاري : البيان المعرب ، ٣ / ١٢ — ١٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ٣ / ١٢ .

٢- فرحل عنه أي أنه رحل عن منطقة ابنيوش لفرار أهلـها إلى شـنت بـوانش؛ لأن هذا القائد خرج غازياً وكانت غزوته هذه الغزوة الرابعة وسيصل في غزواته حتى الغزوة السادسة وهذا دليلٌ علـى قوتـه ، وشـدته في الحـرب ، وحسن إدارتـه ، حتى وصل إلى لقب الحاجب من قبل الخليفة هشام المؤيـد بـالله بـن عبـد الجبـار الناصر لدين الله .

٣- بدأت في هذه المنطقة حركة الجيش التي يبدو من خلال النص أنهـا كانـت مؤلفـة من الخيل ، أو جلها من الخيل ، وكانت حركتها هـذه واسـعة حتـى بلغـت مـن إنتسافها أبعد غاية أي أنها اكتسحت مناطق واسعة جداً من تلك الناحية .

٤- انتقل المؤرخ إلى صورة أخرى من حركة وفعل الجيش ، فصورها صـورة شـديدة لا يحتملها أهل تلك المنطقة ومـن ذلـك : أن الجـيش كـان يـسبي النـساء والـذراري الذين لا يقاتلون ، ويقتل طبعاً الرجال والمحاربين ، ويحرق ما يكون في الـزروع والمخابئ والبيوت ، وآخر صورة من هذه الحركة التهديم لتحـصينات العـدو مـن مراصد وقلاع ونحوها .

٥- انتقل المؤرخ إلى وصف الأوضاع المناخية وتأثيرها على الناس وطبعاً على الجيش الذي كان في هذه المحلة ، فقد صـور الـصاعقة الـسماوية بـالهول العظـيم الـذي أثـر علـى الناس، وصنف مكونات هذا الهول وهي المطر الشديد الذي يأتي بعد الغيـوم الثقيلـة السوداء ، وإن لم يذكرها المؤلـف ، وأصـاب هـذا المطـر النـاس وكـان شـديداً لدرجـة افزاعهم لما أصابهم ، وكان يخالطه برد كثير يعني نزول الثلج بشكل حبات كـثيرة، أو ما صاحب المطر من برد شديد أدى إلى خوفهم ، وكان يتخلل ذلك أو يتبعـه الـبرق المضيء الكثير لأنه كان متتابعاً ، وكـان يتبـع هـذا الـبرق الرعـد ذو الـصوت الـشديد الذي كان يقصف الناس ، وكثير من الناس يخافون صوت الرعد .

إن تتابع البرق يدل على كثرة الغيوم ، وشدة الرياح التي تؤدي إلى تفريغ هذه الغيوم من الشحنات الكهربائية ، فتضيء السماء ، وفي كل الأحيان يحدث الرعد الذي يحدث من تلك الفراغات الكثير من هذا التفريغ الكهربائي ، فيكون كقصف المدافع في أيامنا الحالية التي ترهب الناس ، فكانت هذه الصور التي وصفها المورخ وصفاً دقيقاً ، وشبهها تشبيهاً واقعياً كأن القارئ يعيشه .

ومن جهة أخرى فقد وضح لنا حاله الناس من الخوف حتى خشعوا وكأن الهول ألبسهم ثوب الخشوع والسكينة ، فخافوا عذاب الله ، وأيقنوا أن لا ملجأ لهم من الله إلا إليه ، وهو الواحد الأحد ، فجهروا له بالدعاء الشديد الذي يستجيب معه الله فيكشف الضر عنهم ، ويزيل ما بهم من خوف أصاب قلوبهم ، فكانت إرادة الله سبحانه وتعالى ورحمة بعباده فكشف عنهم ما هم فيه ، بعدما أراهم من آياته[1] .

ومع هذا الوصف الدقيق الذي يبدو كأنه آلة تصوير حديثة في عصرنا إلا أن هذا النص جاء ناقصاً في أمور كثيرة منها :

١- إن النص لم يبين لنا قوة الجيش الشاتي ، ولا إبان لنا قوة الخصم الذي كان يهرب أمام هذه القوة .

٢- لم يسمح لنا النص أن نعرف نوع السلاح المستعمل في هذه المعركة ، ولا تكوين الجيش بصورة تامة سوى من حركة الخيول وحركة الجيش في السبي والقتل و ...

٣- لم يوضح لنا النص سبب خروج هذه الشاتية ، وهي وإن حملت من الأسباب الضمنية ما يدل على أن أهل تلك المنطقة كانوا من الأعداء أولاً ، وربما كانوا يعملون على ازعاج المسلمين القريبين منهم ثانياً ولذا خرج الجيش لفتح بلادهم ثالثاً .

---

(١) ابن عذاري : البيان المعرب ، ٣ / ١٣ .

٤- لم نتمكن من الحصول على نتائج هذه الشاتية كاملة من خلال النص ، سوى جانب الانتصار الذي كان يسبقه السبي والقتل وغير ذلك ، لكنه لم يبين الخسائر التي مني بها العدو ولا خسائر الجيش الغازي .

٥- لم يبين لنا الغنائم التي ترتبت على هذا النصر سوى السبي دون تحديد العدد .

ومع هذا الغموض فإن هذه الشاتية كانت شاتية ناجحة حققت أهدافها وأرهبت العدو المتربص بالإسلام والمسلمين في تلك الناحية .

الشاتية الثالثة : شاتية حصن شنت مرتين ، وقد خرج لها القائد الحاجب المظفر عبد الملك بن أبي عامر من قرطبة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٣٩٨هـ ، ويصف لنا المؤرخ هذه الشاتية بقوله : (ورحل حتى احتل حصن شنت مرتين فأمر عبد الملك بحط الأثقال ، ونهض المسلمون نحو الحصن لوقتهم إذ كان الكفرة سكانه برزوا أمامه يُقدرون المنع منه بزعمهم والقتال دونه ، ثم لم يلبثوا فولوا مدبرين ، ونالت السيوف بعضهم إلى أن وصلوا إلى حرم حصنهم فلاذوا بسوره وراموا مرامامات المسلمين بالنبل والحجارة من أعلاه فلم يكن أحد منهم يخرج يده حتى تنتظمها السهمان والثلاثة ، فانحجروا سراعاً تحت الخشب وظهر المسلمون لوقتهم على الربض فنهبوا ما وجدوا فيه ، وأطلقوا النيران عليه)[1] .

يبدو نص هذه الشاتية طويلاً مما دفعني لتقسيمه أقساماً أتناول فيه أدوار هذه الشاتية وأبدأ **بالقسم الأول** من النص والذي تبدو فيه الصور التالية :

الصورة الأولى : الإعداد : إن هذا النص يبدو واضحاً في مكان الإعداد لهذه الشاتية التي بدا الاستعداد لها من قرطبة ، مع تحديد تاريخ الرحيل منها وهو يوم الإثنين

---

(١) ابن عذاري : البيان المعرب ، ٣ / ٢١ .

لآثنتي عشرة ليلة من صفر من السنة المذكورة ، ويبين لنا عملية الارتحال من قرطبة حتى وصل إلى حصن شنت مرتين ، ويمكن أن نستشف العدة التي اعدها عبد الملك إذ أنه ما إن وصل إلى الحصن حتى أمر بحط الأثقال وهي الأمتعة والمواد الغذائية والعتاد المحمول اللازم لهذه الشاتية ؛ غير أن المؤرخ لم يوضح لنا مما ذكرت شيئاً بل اكتفى بالأثقال وجل ما ذكرته استنتاجاً من هذه الأثقال .

الصورة الثانية : الاستعداد والقتال والهزيمة الأولى : استعد المسلمون للقتال قبل استراحتهم من السفر ، واتجهوا نحو الحصن وكأنما بالجميع قد حمل سلاحه وساروا نحو العدو ، ويكمل هذه الصورة باستعداد سكان الحصن أيضاً للقتال. ونراه يجول في مخيلتهم بأنهم كانوا مستعدين للقتال ومنع الحصن من أعدائهم المسلمين ؛ لكن المؤرخ يتدخل فيجعل القتال زعماً ، وهذا يدل على عاطفته التي ظهرت بعدما يقرب من مائتي عام وكأنه حاضر القتال ، وتدخل عاطفته هذه تدل على استعباد النص وعلى عدم حيادية هذا المؤرخ ، ويتابع استكمال الصورة للأعداء بسرعة هزيمتهم ، ثم لم يلبثوا فولوا مدبرين ومع هزيمتهم هذه فقد أصابت سيوف المسلمين بعضهم ، ويتابع حركاتهم في الهرب وهم يركضون إلى أن وصلوا حرم حصنهم ، أي أنهم دخلوا داخل الحصن وأغلقوا الأبواب خلفهم ، واختبئوا بسور الحصن ، وأرادوا أن يرموا المسلمين بالنبل والحجارة من أعلى الحصن ، فإذا حاولوا إخراج أيديهم للرمي أصابتهم السهام وكأنه كان يعدها فتصيب اليد الواحدة سهمان أو ثلاثة من سهام المسلمين ، ويتابع رسم صورة هذا الهرب ويصور حالة أهل الحصن وهم داخله يتجمعون بسرعة ويختبئون تحت الخشب فقلّت حركة أهل الحصن .

الصورة الثالثة : ما بعد الهزيمة : اختبأ أهل الحصن وأدرك المسلمون أنهم لا يستطيعون قتالهم ، فساروا إلى الربض[1] فنهبوها وأخذوا ما وجدوا فيه ، ولما انتهوا من أخذ هذه الغنائم من الأغنام والدواب من مرابضها ، أشعلوا النار في تلك الأماكن كي يخربوها ولا يبقوا مكاناً للأغنام والدواب ، وهذه الأماكن كما تبدو أعشاشاً مصنوعة من الخشب أو نحوه فكانت مجالاً للحرق .

القسم الثاني من نص هذه الشاتية : يتعلق بالحرب في اليوم الثاني من وصول المسلمين كما يعلمنا ابن عذاري بقوله : (وغزا المظفر على حرب الحصن ، وأرسل البنائين والنّقابين مع عرفائهم لحفر السور المحدث وحل حجارته من بين نطق الخشب ، ودأبوا في ذلك حتى أوسعوا الثلم ثم حشوه حطباً مضرجاً بالقطران وأطلقوا فيه النار ، فاضطرمت تحت السطح فأحرقته فجزع الكفرة لذلك ويئسوا من الحياة وندموا على وقوفهم في وجه عبد الملك والمسلمين)[2] .

اختلف أسلوب القتال في اليوم التالي : فقد بادر المظفر القتال صباحاً واستعمل طريقة فتح ثغرة في سور الحصن بواسطة البنائين والنقابين ، وكان مع هؤلاء العرفاء الذين يراقبون عملهم لعمل الثغرة في السور ، فأخذوا ينقبون الحجارة من بين نطق الخشب التي هي مرابط تربط الحجارة لتحكم ربطها مع بعضها البعض ، واستمروا في عملهم حتى فتحوا الثغرة أو الثلم ، ثم وضعوا الحطب المغموس بالقطران أو النفط وأشعلوه فاحترق السور وكل هذا العمل وأهل الحصن مختبئون خائفون .

---

(١) الربض مكان تجمع الأغنام والدواب كما ذكر ابن منظور : لسان العرب ، ٥ / ١٠٩ عم ، ٢ ، باب ربض .

(٢) ابن عذاري : البيان المعرب ، ٣ / ٢١ — ٢٢ .

ولما رأى أهل الحصن هذا الفعل من عبد الملك وجيشه يئسوا من الحياة وقنطوا منها ، وندموا على مقاومتهم وعدم تسليم الحصن إلى عبد الملك والمسلمين ، وأنهى المؤرخ في هذا القسم من النص للمرة الثانية بالتعبير عن حالة الأعداء وكأنه غاص في قلوبهم فوصف نفسياتهم باليأس والندم ، وهكذا تبدو عاطفة المؤرخ واضحة للمرة الثانية وكذلك تدخله .

القسم الثالث من نص هذه الشاتية : ويتعلق باستمرار الحرب ضد أهل هذا الحصن كما يعلمنا ابن عذاري بذلك قائلاً : (ثم عاودهم عبد الملك بالقتال يوماً آخر ، وأمر الناظرين على الوفود بالعسكر أن يأخذ الناس بنقل حزم الحطب إلى قرب الثلم ، فجلبوا منه أكواماً عظيمة . وتوالى على أعداء الله قذف المنجنيق ، ورشق النبال حتى ظل الرجل منهم لا يقدر أن يتحرك من مكانه ، فاتصلت الحرب الضروس عليهم تسعة أيام ، فلما عاين الكفرة الغلبة عليهم وأضرّ العطش بهم ، عزموا على إسلام الحصن إلى عبد الملك بأمان أنفسهم ، فأوعز عبد الملك بالدنو إليهم ومعرفة ما يبغونه من سؤالهم ، فسألوا أن يأخذوا الأمان ، ويخرجوا عن الحصن، وينصرفوا منه ، فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه ؛ إذ لم يكن لهم مناضل ، فانعقد ذلك وفتح الكفرة باب حصنهم ، فأمر عبد الملك أخاه عبد الرحمن وفتاه شفيعاً بالدخول إليهم ففعلوا ذلك ، وأمروا أهل الحصن بالخروج فخرجوا منزعجين وقد سُقط في أيديهم)[1] .

للمرة الثانية يبادر القائد عبد الملك قتال أهل الحصن بعد يومين ، وقد أمر المسؤولين عن إدارة العسكر أن ينقلوا حزم الحطب ، ويجعلوها قرب الثلم ، فأحضروا كميات كبيرة من الحطب .

---

(١) ابن عذاري : البيان المعرب ، ٣ / ٢٢ .

جاء دور المرحلة الثانية من القتال في هذا اليوم وهو قذف المنجنيق يخالطه رشق النبال ؛ حتى تجمد رجال الحصن في أماكنهم فلم يقدروا على القتال ولا حتى على الحراك من أماكنهم .

استمر القتال على هذا المنوال مدة تسعة أيام ذاق فيها أصحاب الحصن الويل من القتال والحصار ، فأيقنوا بالموت بعد أن عرفوا أنهم مهزومون دون أدنى شك ، فطلبوا الصلح علهم ينجون بأنفسهم شرط أن يسلموا الحصن للقائد عبد الملك مقابل الأمان لأنفسهم فيخرجوا من الحصن ويرحلوا عنه ، غير أن عبد الملك رفض طلبهم كيف لا ؟ وهو المنتصر على قوم عاندوه وحاربوه ورد عليهم رداً عنيفاً بالرفض وعليهم أن ينزلوا على حكمه ، وحكمه معروف وهو سبي النساء والذرية ، وقتل المقاتلين منهم .

جاءت مرحلة التسليم ففتحوا الباب بعد أن كتبوا كتاباً بذلك ، وأمر عبد الملك أخاه عبد الرحمن وهو مساعده الأول وشفيعاً وهو مساعده الثاني بالدخول إليهم وأمروا أهل الحصن بالخروج ، فخرجوا في حالة من الذعر مجتمعين في ساحة الحصن جميعاً ، فميز عبد الملك الرجال والذرية والعيال ، وجعل كل قسم في جانب في تلك الساحة .

القسم الرابع من نص هذه الشاتية : ركب عبد الملك حصانه وحوله (جماعة من المسلمين يدعون له ويبتهلون بالشكر والثناء ، فوقف بساحة الحصن على جواده يتأمله ثم انتهى إلى الموضع الذي ميز فيه أهل الحصن ، فنهض نحو الرجال وقد استشرفوا له ورجوا عطفه بأن يأسرهم ، فنظر إليهم وحكم فيهم بحكم سعد بن معاذ رضي الله عنه ،

وأومأ إلى من حوله من الأجناد فوضعوا فيهم الأسلحة وجردهم في ساعة ، ثم أمر بتوزيع سبيهم على أهل الرباط وفرسان الوفود على العادة، ففعل ذلك كله ، وأمر بالشروع في بناء ما ثلم من السور وأمر كاتب الرسائل أحمد بن برر بإنفاذ كتابه إلى الحضرة)[1] .

بدأت المرحلة الأخيرة من هذه الشاتية وهي حصر الغنائم بعد الحكم على أهله ، فركب في المسلمين الذين لجوا بالدعاء له ، وتفقد الحصن ، ومر بالرجال من المقاتلين من الأعداء وكانوا يرجونه أن يأسرهم ولا يعمل على قتلهم ، وكان عبد الملك ينظر إليهم ، وحكم فيهم بحكم سعد بن معاذ : وهو الحكم الذي أصدره على اليهود في المدينة المنورة بقتل المقاتلين ، وسبي النساء والذرية ، فكان له ما أراد ، وقام الجند بتنفيذ هذه المهمة وقتلوا الرجال ،ووزع السبي على المرابطين في ذلك الثغر وعلى فرسان الوفود الذين قدموا لمساعدته في الحرب ، فكان له ما أراد .

انتهى عبد الملك من ذلك ، وجاء دور إخبار دار الخلافة بهذا النصر فأمر كاتبه أن يكتب بذلك إلى الخليفة كما جرت العادة فكان له ما طلب ورجع الجيش إلى قرطبة في مستهل ربيع الآخر[2] من هذه السنة بعد مدة استمرت ٤٨ يوماً أي شهراً وثمانية عشر يوماً .

إن المتأمل في هذه الشاتية يمكنه أن يلمح الملاحظات التالية :

أولاً : إيجابية النص :

أ- جاء هذا النص كاملاً شاملاً في وصف هذه الشاتية منذ بدء الاستعداد والمسير من قرطبة حتى الرجوع إليها ، ووضح بداية المسير إلى الوصول إلى مكان الهدف العسكري .

(١) ابن عذاري : البيان المعرب ، ٣ / ٢٢ — ٢٣ .

(٢) ابن عذاري : البيان المعرب ، ٣ / ٢٣ .

ب- حمل هذا النص وصفاً للإعداد والاستعداد لهذه الشاتية من أحمال وما تحمل من أثقال ونحو ذلك .

ج- وصف النص وصفاً دقيقاً طريقة القتال بين الطرفين ، ومدى استعداد كل طرف من هذه الأطراف .

د- وصف إدارة المعركة وصفاً شاملاً بما يخص المسلمين وطريقة قتالهم ضد الأعداء ، وبين حركة الهزيمة إلى داخل الحصن من قبل أصحابه ووضع طريقة رميهم بالمنجنيق والسهام وفتح الثغرة في الحصن .

هـ- وصف وصفاً دقيقاً حال أهل الحصن النفسية أثر اندحارهم ، وكيف اشرفوا على الهلاك ، وأثر الحصار والقتال عليهم .

و- وصف المؤلف عملية تسليم الحصن ، وتنفيذ الحكم في المقاتلين بعد أن استسلم أهله .

ز- بين لنا الغنائم من السبي وطريقة توزيعها .

ثانياً : سلبية النص :

غير أن هذا النص لم يوضح لنا كثيراً من الأمور التي تستدعي الانتباه ومنها :

أ- لم يوضح لنا النص طريقة إعداد الجيش في هذه الشاتية ، وكذلك الطريق التي سلكها حتى وصل الحصن المراد .

ب- لم يذكر لنا هذا النص عدد قوات المسلمين وعتادهم ، فضلاً عن عدم ذكره ما للأعداء وما عليهم كذلك .

ج- لم يبين لنا ما هي الأسباب والبواعث لهذه الشاتية ولماذا تحرك الجيش لهذا القتال الذي أدى إلى خسائر قد تكون مست الجيش الإسلامي كما حدثت للأعداء .

د- لم يبين لنا عدد القتلى من الذين أعدموا في ساحة الحصن ولا عدد الجرحى والقتلى قبل ذلك .

هـ- لم يبين عدد السبي في هذه الشاتية .

و- لم يوضح أنواع الغنائم الأخرى التي حصل عليها المسلمون من هذه المعركة ولا طريقة توزيعها .

ز- لم يوضح لنا هذا النص اسم القائد العسكري للعدو ، ومدى ارتباطه بممالك الأعداء ، أو علاقته بالحصون الأخرى .

ومع كل ما تقدم من أمور إيجابية وسلبية ، فقد كان هذا النص أوسع من النصوص التي تناولتها في دراسة الشواتي في الأندلس رغم تحيز المؤلف الواضح وعدم حياديته .

ثانياً : الصوائف :

مرت الأندلس بعدة أدوار كما أشرت عند دراسة الشواتي من الفتح حتى السقوط غير أن فترات السلم بوجه عام كانت طويلة ، فضلاً عن أن فترات الثورات والقلاقل الحدودية كانت أقل في هذه البلاد ، الأمر الذي جعل الحملات العسكرية من شوات وصوائف قليلة إذا ما قورنت مع طول العهد الإسلامي في الأندلس وأتناول في هذه الدراسة عدة أمثلة على الصوائف ومنها :

الصائفة الأولى : صائفة أوريط وقد حدثت سنة ٢٠٩ هـ ومكانها أوريط [١] وشنت برية [٢] ، وتدمير [٣] ، وقائدها أمية بن معاوية بن هشام عوضاً عن عبد الكريم بن عبد الواحد وأتناول لها نصاً أقسمه إلى قسمين الأول ما يخص بالصائفة مباشرة ، والثاني

---

(١) أوريط : مدينة بالأندلس بين الشرق والجوف ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ١ / ٢٧٩ .

(٢) شنت برية : مدينة متصلة بحوز مدينة سالم بالأندلس وتقع شرق قرطبة وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات وفيها كثير من الحصون ، المصدر نفسه ، ٣ / ٣٦٦ .

(٣) تدمير كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان وهي شرق قرطبة ولها مدن ورساتيف كثيرة ، المصدر نفسه، ٢ / ١٩ .

له علاقة بأسباب هذه الصائفة ويعلمنا ابن عذاري عن هذه الصائفة قائلاً : (وعوض منه الأمير عبد الرحمن بن الحكم أمية بن معاوية بن هشام فغزا بالصائفة إلى أوريط فاحتل بها وهي يومئذ للإسلام ، فأخذ أهل الذنوب والريب وعفا عن الباقين ، ثم تقدم إلى شنت برية وتدمير ، وكان أبو الشماخ رئيس اليمانية يقوم بدعوة الأمين[1] على المضرية ، وكانت بينهم وقعة بمرسيه[2] .وأما القسم الثاني من هذا النص فيتعلق بجذور هذه الفتنة إذ يعلمنا ابن عذاري قائلاً : (وكانت بينهم وقعة بمرسيه[3] كوقعة يوم المصارة بلورقة فني فيها من المسلمين أمم ، وكان انبعاث هذه الفتنة وسببها بين المضرية واليمانية : على ورقة دالية أخذها مضري من جنان يماني فقتله اليماني فكان ذلك سبب الحروب التي دارت بين الفريقين واتصلت أعواماً وكانت الدوائر تدور أكثرها على اليمانية)[4] .

تناول المؤلف هذه الصائفة فأعلمنا أنها كانت بأمر من الأمير عبد الرحمن ابن الحكم ، وهذا دليل على حرص الخلفاء في الأندلس على السهر على أوضاع الناس في الثغور أولاً ، وفي داخل البلاد ثانياً ، وعلى سيطرتهم على الأوضاع عامة ثالثاً ، ومعرفتهم بأوضاع قادتهم والأمور العسكرية رابعاً ، فقد عوض أمية بن معاوية بن هشام عن القائد عبد الكريم بن عبد الواحد بعد وفاته خامساً .

ومن جهة أخرى فقد حدد لنا وجهة هذه الصائفة أولاً إلى مدينة أوريط ، وكان السبب ظهور بعض المفسدين فيها ، وكانت تحت سيطرة دار الخلافة ، فوصلها

---

(١) صححت بلفظ الأمويين ، ابن عذاري : البيان المعرب ، ٢ / ٨٢ ، ح ، (١) .

(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٨٢ .

(٣) مرسيه : مدينة بالأندلس من أعمال تدمر ، ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ٥ / ١٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢ / ٨٢ .

وعاقب هؤلاء المفسدين الذين ربما كانوا خارجين عن الطاعة ، أو أنهم في ثورة ضد الخليفة أو أنهم كانوا لصوصاً وقاطعي طرق ، وكان الشك بادياً في سلوكهم وهم أهل الذنوب والريب، ويصف لنا المؤرخ طريقة تعامل هذا القائد مع باقي الناس والذين كان مصيرهم العفو لعدم ثبوت اشتراكهم مع من عاقب من الخارجين .

ارتحل أمية بن معاوية بن هشام إلى شنت برية وتدمير وهما مدينة ومنطقة واسعة كما أسلفنا وكانتا تحت حكم المسلمين . وبين لنا المؤرخ أسباب تقدم الجيش بقيادة معاوية إليهما ؛ لأن بهما أبو الشماخ رئيس اليمانية الذي كان مصدر قلاقل وفتن عصبية ، وكان يقوم بإثارة النعرات بين اليمانية والمضرية وكان هو رأس اليمانية ، وبغض النظر عن لفظ الأمين أو الأمويين المصحح فإن هذا الرجل كان مصدر فتنة وكان على هذا القائد أن يقوم إما بتأديبه أو إيقافه عند حده ، فدارت بين القائد أمية وجيشه وبين أبي الشماخ معركة كبيرة ، وسنتعرف عليها من خلال القسم الثاني من هذا النص .

كانت المعركة بمرسيه معركة كبيرة سببها الفتن العصبية بين المضرية واليمانية التي كان يرأسها أبو الشماخ ، وكان لهذه العصبية جذور حملها العرب الفاتحين منذ دخولهم الأندلس ، ولكن الذي كان يسكتهم في ذلك الوقت قتال العدو، ورغم قوة تأثير الإسلام على النفوس إلا أن هذه العصبية بين المضرية التي عرفت بالقيسية وبين اليمانية ظهرت في العصر الأموي ، وقد امتدت إلى الأندلس ، ووصلت إلى حد القتال بين الطرفين كما حدث في معركة المصارة التي كانت في بلورقة بتاريخ ٢٠٧هـ ، ودامت مدة سبع سنين ، وكان الخليفة عبد الرحمن بن الحكم قد سير إليهم القائد يحيى بن عبدالله بن خلف ، ثم بعث لهم عدة مرات بالقواد فيفترقون

إذا حضر هؤلاء القواد ، ويعودون للفتنة ، وكانت معركة المصارة بينهم وبين يحيى بن عبدالله وقد بلغ عدد القتلى فيها ثلاثة آلاف مقاتل[1] . وعليه تكون الوقعة الثانية بمرسيه قد قتل فيها أعداد مشابهة أو تكون أقل أو أكثر من ثلاثة آلاف .

إن القارئ للنص الأول يمكنه أن يلاحظ بعض الأمور الواضحة فيه وبعض الأمور التي لم يوضحها المؤلف ومن ذلك :

أ ـ الأمور الواضحة :

١- سبب هذه الصائفة لتأديب الخارجين ومثيري الشغب .

٢- اسم القائد المعوض عن القائد السابق لهذه الشاتية .

٣- أمر الخليفة بهذه الصائفة .

٤- تحديد مكان هذه الصائفة وهي التي ذكرناها سابقاً .

٥- تحقيق هذه الصائفة أهدافها بمعاقبة الخارجين .

ب ـ الأمور غير الواضحة في هذا النص :

١- عدم ذكر عدد هذا الجيش ولا طريقة الاستعداد والعُدد .

٢- عدم ذكر مكان انطلاق هذه الصائفة .

٣- عدم ذكر النتائج كاملة لهذه الصائفة .

٤- عدم ايضاح خسائر الخارجين في مكان تمردهم .

٥- عدم ذكر الغنائم التي هي عبارة عن مصادرات لأموال الخارجين ؛ لأن المنطقة كانت تحت السيطرة الإسلامية .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥ / ٢٠٥ ، ٢١٣ ، ابن عذاري : البيان المعرب ، ٢ / ٨١ .

الصائفة الثانية : صائفة المطرف بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم وهو أميرها ، وقائد جيشه عبد الملك بن أمية بن معاوية بن هشام ، ثم من بعده أحمد بن هاشم بن عبد العزيز وكان تاريخها سنة ٢٨٢هـ ومكانها إلى إشبيلية[١] وشذونة[٢] ، ويعلمنا عنها ابن عذاري قائلاً : (وفي سنة ٢٨٢ ، غزا بالصائفة المطرف بن الأمير عبدالله ، وقاد الصائفة عبد الملك بن أمية ، فلما كان بمقربة من إشبيلية قبض على القائد عبد الملك وقتله ، وقدم على قيادة العسكر أحمد بن هاشم ، وأقام العسكر في الموضع أربعة أيام ، وكتب أماناً لأهل إشبيلية ، وأماناً لأهل شذونة فدانت له، وقبض جبايتها ودوخ تلك البلاد ، ثم رحل إلى إشبيلية، فناشبهم الحرب ، فانهزم أهل إشبيلية ، ووقع فيهم القتل إلى سور المدينة ، ثم أجاز الوادي فتتبع القرى بالنسف والتغيير)[٣] .

حمل هذا النص مجموعة من المعلومات التي تتطلب الوقوف عندها ، ومن ذلك :

الوقفة الأولى : إن أمير هذه الصائفة هو المطرف بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم وهو من الأسرة الحاكمة ، والقائد الأول لها هو عبد الملك بن أمية بن معاوية بن هشام ، وهو من أبناء عمومته والذي قتله أمير هذه الصائفة ، ووضع بدلاً منه أحمد بن هاشم بن عبد العزيز ، فلماذا حدث ذلك ؟ لم يعط النص جواباً ، غير أن جملة : " قبض على القائد عبد الملك وقتله " تدل على خلاف بينهما ، أو تمرد من القائد على الأمير ، وربما دلت على محاولة اغتيال منه ضد هذا الأمير ،

---

(١) إشبيلية : مدينة كبيرة عظيمة بالأندلس كانت تدعى حمص أيضاً وبها قاعدة الحكم في الأندلس ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ١ / ١٩٥ .

(٢) شذونة : مدينة كبيرة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور التي من أعمال إشبيلية ، المصدر نفسه ، ٣٢٩/٣ .

(٣) ابن عذاري : البيان المعرب ، ٢ / ١٢٤ .

ولذا لزم الأمر التوقف عن الرحلة أربعة أيام من أجل إسكات معاوني القائد عبد الملك، أو ربما من أجل تهدئة الجيش الذي ربما كان مطيعاً لهذا القائد ، أو للسيطرة على العناصر المناوئة وتطهير الجيش منهم ، فاستمرت هذه العملية مدة أربعة أيام، فجعل مكانه أحمد بن هاشم خلالها ، وكان مكان هذه المحطة قرب إشبيلية دون تحديد اسم المكان .

الوقفة الثانية : مصالحة أهل إشبيلية وأهل شذونة بإصدار كتب الأمان لأهل هاتين المدينتين . فدخلت شذونة في طاعته واستسلمت لهذا القائد حسب ألفاظ هذا المؤرخ ، وتمكن من جباية أموال شذونة . ويبدو من خلال النص أن هذا الأمان لم يكن سهلاً وأنه لم يكن في شذونة ، بل في مناطقها ، ويقول المؤرخ : ودوخ تلك البلاد، فيفهم من هذا النص حدوث حرب . وقتال حتى دوخ تلك البلاد ، وإلا لماذا كان كتاب الأمان وعملية التدويخ ؟ ويبدو واضحاً عدم ذكر الحرب في هذه المنطقة .

الوقفة الثالثة : الارتحال إلى إشبيلية ومناشبتهم الحرب ، وانهزام أهل إشبيلية، وتوقيع القتل فيهم إلى سور المدينة ، ويمكن استخلاص كثير من الأمور من هذا النص وإثارة بعض التساؤلات ومنها :

لماذا حارب أهل إشبيلية رغم أنه كتب لهم كتاب أمان ؟ فيمكن الإجابة على ذلك بالقول : إن أهل إشبيلية لم يعجبهم هذا الأمان أولاً ؟ و ربما حمل هذا الأمان مطالبة مالية لم ترق لأهلها مما جعلهم لا يوافقون عليه ، وربما علموا أن قوة هذا الأمير ليست كبيرة فقرروا محاربته والانتصار عليه ، أو ربما كان ولاء أهل إشبيلية للقائد عبد الملك بن أمية فثاروا لقتله ونقضوا الأمان أو ليثأروا له .

والسؤال الثاني : لماذا هرب أهل إشبيلية بهذه السرعة إلى سور المدينة ؟ ربما أدرك أهل إشبيلية قوة هذا الأمير على أرض الواقع ، وكان توقعهم ضعفها قبل الاحتكاك معها ، وربما لم يكن بين أهل إشبيلية ترابط فانهزموا ، أو أنهم قلة ثائرة فانهزموا إلى سور المدينة ، فكانت النتيجة انهزامهم وكثرة القتل فيهم وهروبهم إلى داخل المدينة .

الوقفة الرابعة : اجتياز الوادي وتتبع القرى بالنسف والتغيير ، وهذا الأمر يحمل في طياته أمور منها أن المناطق المجاورة لإشبيلية كانت في حالة من الغليان والثورة ، وقد تكون حالهم هذه في بداية الأمر مما جعل هذا الأمير يتتبع القرى ويسير فيها بسرعة ، ويحارب أهلها ، ويعمل على تغييرها إما بإبعاد سكانها ، أو بتهديمها أو بهرب أهلها منها فصار لكل ما تقدم في مرحلة التغيير .

ومع شمول هذا النص لكثير من المعلومات التي ظهرت من خلال الوقفات السابقة فقد جاء ناقصاً لكثير من المعلومات ومن ذلك :

١- عدم تحديد هذه القوة من ناحية عدد الجيش وعدته .

٢- لم يوضح النص أسباب قتل القائد عبد الملك بن أمية ، واستبدال القائد أحمد بن هاشم به .

٣- لم يبين النص أسباب كتابي الأمان لأهل إشبيلية وشذونة .

٤- لم يبين أسباب الحرب لأهل إشبيلية وقرى الوادي المجاورة لها .

٥- لم يبين خسائر جيش الأمير مطرف ولم يذكر خسائر أهل تلك المناطق .

٦- لم يذكر الأموال التي حصلت من هذه الحملة ، ولا طريقة المعاملة مع أهلها بعد النسف والتغيير .

الصائفة الثالثة : صائفة مويش[1] وتعرف بغزاة مويش ، بدأ البروز والاستعداد لها يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣٠٧هـ[2]، وبدأ خروجه وانفصاله من قصر قرطبة يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من محرم الموافق الثالث من حزيران سنة ٣٠٨هـ[3] ، قائد هذه الحملة أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر ، وانتهت هذه الصائفة برجوعه منها من حصن طرش يو م الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وكان وصوله إلى قرطبة وبالذات لقصره فيها يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة من ربيع الأول ، واستمرت هذه الغزوة تسعين يوماً[4] ، وكانت وجهتها منطقة واسعة سأبينها لاحقاً .

ونظراً لطول هذا النص [5] سأتناول ما يمس هذه الصائفة مباشرة ، وأشير إلى مواصفة كل مرحلة حسب مراحلها ، ومن ذلك :

المرحلة الأولى : استمرار عملية الإعداد والاستعداد من مخاضة الفتح :

يعلمنا ابن عذاري قائلاً : (ونهض آماً لوجهته والحشود والعساكر تتلاحق من سائر أقطار الأندلس وجميع جهاتها ونزل رحمه الله على مدينة طليطلة وخرج إليه لب بن الطربيشة صاحبها مبادراً إليه وغازياً معه)[6] .

يتضح من هذا النص أن الخليفة عبد الرحمن الناصر هو الذي قاد الصائفة ، وأنه كان يأمر قادة المناطق سواء من المناطق التي يمر بها ، أو غيرها بالقدوم

---

(١) مويش / حصن بالأندلس لم أعثر عليه .

(٢) ابن عذاري : البيان المعرب ٢ / ١٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ١٧٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢ / ١٧٥ – ١٨٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ٢ / ١٧٥ – ١٨٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ٢ / ١٧٦ .

للانضمام لهذا الجيش ، ومثال على ذلك ما فعله أمير طليطلة الذي كان في ظاهر الحال يظهر الولاء للخليفة ، ويخبئ له السوء والمعصية .

أشرت في بداية هذا الكتاب أن الصائفة أو الشاتية قد يكون لها عدة أهداف أحياناً غير الهدف العسكري وهنا يمر عبد الرحمن الناصر بمدينة الفرج فيعزل ولاتها الظالمين من بني سالم لشكوى أهلها ، ويجعل مكانهم (سعيد بن المنذر وقدمه قائداً وضابطاً لمدينة الفرج وأغزاه مع نفسه)[1] بعد أن جعل مكانه ابن غزلان القرشي، وانضم أكثر أهلها للجهاد معه [2].

المرحلة الثانية : الوصول إلى مدينة سالم :

وكان جيشه كبيراً دون ذكر العدد ، وأوهم الناس أنه يريد الذهاب إلى مدينة بالثغر الأوسط ، وهذه مناورة عسكرية منه ، غير أنه غيَّر الطريق إلى طريقة آلية[3] والقلاع حتى وصل وادي دوير[4] كما يفهم من النص : (وأظهر رحمه الله التوجه إلى الثغر الأوسط ، وأقدمت المقدمة نحوه ، ثم عرج بالجيوش إلى طريقه إليه والقلاع، وطوى نهاره ثلاثة مراحل حتى احتل بوادي دوير ، فاضطربت العساكر فيه وباتت عليه)[5] .

هكذا وصف المؤرخ هذه الحركات التي قام بها عبد الرحمن الناصر ، ولكن لماذا اضطرب الجيش في هذا الوادي ؟ ربما كان ذلك لأنهم غرباء عليه أو ربما للتعب الذي أصابهم فباتوا عليه ، وهذا أمر طبيعي لا يحتمل في طياته أي تمرد أو ثورة .

---

(١) ابن عذاري : البيان المعرب ، ٢ / ١٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ١٧٦ .

(٣) آلية : وهي ألية وهي إقليم من نواحي إشبيلية أو من نواحي استجة وكلاهما بالأندلس وقيل غير ذلك . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ١ / ٢٨ -- ٢٤٩ .

(٤) وادي الدوير : وادٍ أو ماء في طريق آلبة كما يفهم من النص ولم أعثر عليها .

(٥) ابن عذاري : مصدر سابق ، ٢ / ١٧٧ .

المرحلة الثالثة : مرحلة الحرب على حصن وخشمة[1] :

وتقسم إلى قسمين :

١ـ **القسم الأول** : الاستطلاع والغارة السريعة كما يعلمنا ابن عذاري بقوله : (ثم أخرج صباح تلك الليلة سعيد بن المنذر الوزير في جرائد الخيل وسرعان الفرسان إلى حصن وخشمة فأعذ السير حتى قرب من الحصن ، وسرح الخيل المنيرة يمنة ويسرة ، والمشركون في سكون وغفلة ، إذ كان العلج الذي يلي أمورهم قد كاتب أمير المؤمنين رحمه الله مكايداً له في إزاحته عن بلده بمواعيد وعدها من نفسه ، فأظهر أمير المؤمنين رحمه الله قبول ذلك منهم ، وأضمر الكيد بهم فغشيتهم الخيل المغيرة على حين غفلة ، وأصابوا نعم سوامهم ودوابهم مسرحة مهملة ، فاكتسحوا ذلك وانصرفوا إلى العسكر سالمين غانمين [2] ، ويمكننا أن نلمح حركتهم في النقاط التالية :

أ- أرسل عبد الرحمن الناصر الخيل بدون أحمال أو أثقال لتصل بسرعة يقودها الخيالة السريعون ، واستمروا في سيرهم حتى وصلوا قريباً من الحصن .

ب- وزع الوزير الخيل عن يمين الحصن وعن يساره ، وأهله لا يعلمون بهذه الحركة، وهم في مأمن حسبما أعلمهم زعيمهم الذي قطع على نفسه الوعود وهو يعلم أنه لا يفي بها .

ج- كان زعيم هذا الحصن قد كاتب عبد الرحمن الناصر مظهراً له أمراً ربما كان القبول بشروطه لكن قصده غير ذلك ، ويريد من هذه المراسلة الخداع لإبعاد عبد الرحمن الناصر وجيشه عن بلده ، وكان لثغره هذا تصرفاً شخصياً من نفسه .

---

(١) حصن وخشمة : حصن من حصون منطقة طليطلة كما يفهم من النص .

(٢) ابن عذاري : البيان المعرب ، ٢ / ١٧٧ .

د- إدراك عبد الرحمن الناصر لهذه الخديعة مما جعله يمكر به مكراً أكبر من مكره، فيغير بخيله على أطراف هذا الحصن ، وأهله غير جاهزين ولا عارفين .

هـ- فاجأهم الوزير سعيد بن المنذر على حين غرة ، واستولى على نعمهم ودوابهم التي كانت ترعى بدون رعاه أو حراس .

ز- عادوا ولم يصب منهم أحد إلى معسكرهم يجرون معهم الغنائم .

٢ـ **القسم الثاني** : الهجوم والاستيلاء على الحصن كما يعلمنا ابن عذاري قائلاً : (فلما كان صباح يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر اندفعت الخيل في أكمل تعبئة ، وأهذب ترتيب ، وأوكد ضبط ، وأبلغ حزم وعزم ، إلى حصن وخشمة ففر عنه الكفرة وأخلوه ولاذوا بالغياض الأشبة والصخور المنقطعة ، ودخل المسلمون الحصن ، وغنموا جميع ما فيه ، وأضرموا ناراً ، وبات أمير المؤمنين رحمه الله في محلته ليلة السبت) .

إن الناظر إلى هذه المرحلة يمكنه أن يستشف من هذا النص الأمور التالية :

أ- إن عبد الرحمن الناصر استعمل للمرة الثانية أُسلوب المفاجأة في الحرب .

ب- إن الجيش كان على قدر كبير من التدريب والتنظيم ، فعلمنا في المرحلة السابقة كيف أرسل الخيل جريدة ، وفي هذه المرحلة دفع الخيل في أحسن نظام مع كمال التعبئة والشدة في التصميم نحو الحصن .

ج- أدرك الأعداء هذه القوة والشدة وعاينوها فخافوا وهربوا عن الحصن إلى الغابات القريبة منه وإلى الجبال الصخرية .

د- سهل هربهم دخول المسلمين الحصن واحتلالهم إياه .

هـ- استولى المسلمون على ما وجد في الحصن وقاموا بإشعال النار فيه، وناموا مع أمير المؤمنين منتصرين .

المرحلة الرابعة : حصن قاشقر مورش والمعروف بشنت اشتبين[1] وكانت مقر قاعدة الكفرة :

رحل أمير المؤمنين عبد الرحمن يوم السبت الثالث عشر من شهر صفر (إلى حصن قاشقر مورش ... فلما رأوا أن أنصار دين الله قد أظلوهم وأولياءه قد صمدوا نحوهم ، أخلوا الحصن وخرجوا هاربين عنه ، فدخله المسلمون وغنموا جميع ما فيه وخربوا حصن القبيلة المجا له)[2] .

ويمكننا أن نستنتج من هذه الحركة السريعة أصل أهل حصن قاشقرمورش علما بما حل بأهل حصن وخشمة ، وأن عبد عبد الرحمن الناصر قادم نحوهم بقوة كبيرة ، قرروا الهرب والفرار بأنفسهم أولاً ؛ مما سهل على المسلمين دخول الحصن والاستيلاء على ما فيه من غنائم ثانياً ، وسهل على المسلمين تخريب حصن القبيلة المجاور له ثالثاً .

المرحلة الخامسة : فتح قولونية [3]:

انتقل ابن عذاري إلى الفتح الثالث وهو فتح مدينة قولونية فيعلمنا قائلاً :

(ثم ارتحل إلى مدينة لهم أوّضلية تعرف بقولونية[4] .... حتى أوقف العساكر على المدينة ، فألفيت خالية قد شرد عنها أهلها إلى الأجبل المجاورة فغنم المسلمون جميع ما أصابوا فيها ، وعملت الأيدي في تخريب ديارها وكنائسها وكسر الناصر (رحمه الله عليها ثلاثة أيام لنكاية المشركين وانتساف نعمهم)[5] .

---

(١) قاشقر موريش : حصن من حصون الأندلس لم أعثر عليه .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢ / ١٧٧ .

(٣) قولونيه : مدينة من مدن الأندلس ولم أعثر عليها .

(٤) لم أر موجباً لكتابه بقية النص مجلته فجعلته هكذا (...) .

(٥) ابن عذاري : المصدر نفسه ، ٢ / ١٧٧ — ١٧٨ .

لقد بدا واضحاً خوف الإسبان الكفرة من حركة عبد الرحمن الناصر العسكرية في هذه الصائفة فأخذوا يولون الأدبار أمامه ، فهو ما أن يصل حصناً أو قرية حتى يهرب أهلها منها ، حتى وصل إلى مدينة قولونية التي وجد أهلها قد هربوا نحو الجبال وتركوها خالية من أهلها . وكانت نتيجتها مثل سابقتها اغتنام الغنائم منها وتخريب ابنيتها وكنائسها ، ومكث فيها عبد الرحمن الناصر ثلاثة أيامٍ عمل فيها على قهر وهزيمة المشركين والاستيلاء على نعمهم .

المرحلة السادسة : حصن قلهرة :

علم عبد الرحمن الناصر أن شانجة أحد ملوك الإسبان قد ضايق المسلمين واحتل حصن قلهرة[1] ، فهب لنصرتهم ورحل من قولونية يوم السبت لخمس بقين من صفر إلى تليطلة ، وقطع المسافات بالرفق كي لا يزيد شانجة من مضايقته للمسلمين ، غير أنه أسرع في الطريق إليهم[2] . (وكان شانجة قداتخذ الحصن معقلاً وتبوأه مسكناً ، فلما فاجأته العساكر أخلاه العلج وزال عنه . فغنمه المسلمون بأسره ، وكسر الناصر رحمه الله عليه يومين حتى خرب جميعه وانتسف كل ما كان حواليه)[3] .

بدا في هذه المعركة التي هي جزء من صائفة مويش أن قائد العدو معروف في هذا النص وهو شانجه الذي كان يكايد المسلمين ، وقائد المسلمين معروف وهو عبد الرحمن الناصر الذي هب لنصرة المسلمين ، وغدا سبب هذه المعركة واضحاً وهو مقاتله وردع شانجة وتاريخ هذه المعركة هو اليوم الثاني من ربيع الأول من سنة ٣٠٨هـ[4] .

---

(١) قلهرة : حصن من حصون الأندلس لم أعثر عليه .

(٢) ابن عذاري : البيان المعرب ، ٢ / ١٧٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ١٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢ / ١٧٨ .

وكان مصير هذا الحصن مثل الحصون السابقة له ، وهو هروب أهله عندما يعلمون بقوة عبد الرحمن الناصر وترك الحصن ، واحتلال المسلمين له وحصولهم على غنائم وفيرة دون عناء ولا مقاومة من أهله ، وترك أهل الحصن له يجعل ما حوله سهل المنال ، فيقيم المسلمون عليه أياماً يحصلون فيها على غنائم كثيرة .

ومما يلفت النظر في هذا الحصن أنه كان تحت سيطرة المسلمين فجاء عدوهم واحتله أولاً ، وصار مصدر قلق لهم ثانياً ، بل ومضايقاً لهم في سعيهم ثالثاً ، ولذا هب عبد الرحمن الناصر لنصرتهم واسترجاعه رابعاً .

المرحلة السابعة : حصن مويش :

علم عبد الرحمن بتحالف أرذون وشانجة على اعتراض جيشه ، فجهز جيشه وضبطه وسار موغلاً في بلاد شانجة وقطع التلال والجبال ، فتعرض جيشهما لأطراف جيش عبد الرحمن الناصر ، غير أنهم انهزموا أمام هذا الجيش عندما بادرهم بالقتال ، وتمكن ألف مقاتل منهم من الهرب ودخول حصن مويش وقتل من جيشهما أعداد كبيرة [1].

تمكن جيش عبد الرحمن الناصر من الوصول إلى الحصن ، ويصف لنا ابن عذاري ما حدث قائلاً : (فأحيط به من جميع جهاته وحوربوا داخله حتى تغلب عليه واستخرج جميع العلوج منه وقدموا إلى الناصر (رحمه الله) فضربت رقابهم جميعهم بين يديه ، وأصيب في الحصن والمحلة التي كانت للكفرة بقربه من الأمتعة، والأبنية ، والحلية المتقنة ، والآنية ما لا يحصى كثرةً ، وأصيب لهم نحو

(١) ابن عذاري : البيان المعرب ، ٢ / ١٧٨ — ١٧٩ .

ألف وثلاثمائة فرس ، وكسر المؤمنين (رحمه الله) أربعة أيام يغير جميع ما حواليهما من نعم المشرين وثمراتهم ومزارعهم)[1] .

عندما وصل المسلمون بقيادة عبد الرحمن الناصر الحصن أحاطوا به بتخطيط من القائد من جميع جهاته ، وقاتلوا الهاربين داخله حتى تغلبوا عليه ، وأخرجوا جميع المحاصرين داخله من الهاربين من المعركة السابقة ، وأُحضروا لعبد الرحمن الناصر فضربوا بالسيف حتى قتلوا عن بكرة أبيهم . انتقل المسلمون إلى داخل الحصن فاستولوا على ما به وكذلك فعلوا بالمحلة المجاورة له ، ونالوا من الغنائم الأشياء الكثيرة من الأنواع الثمينة ، وكان نتيجة هذا الهجوم إصابة أكثر من ألف وثلاثمائة فرس . ورغم عدم الدقة في حصر الغنائم غير أن النص يحمل في طياته بياناً عاماً للغنائم وهو أوضح من غيره من النصوص السابقة .

المرحلة الثامنة : حصن بقيرة[2] :

يبدو أن هذا الحصن كان قريباً من الحصن السابق ، وأن عدو المسلمين شانجة كان قد اتخذ بقيرة للإشراف على أهلها ، فانتقل إليه يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة[3] ، يعلمنا ابن عذاري عن هذا الحصن قائلاً : (ثم انتقل ....[4] إلى حصن كان اتخذه شانجة على أهل بقيرة فألفاه خالياً قد فر عنه أهله فعهد بهدمه)[5] .

---

(١) المصدر نفسه ، ٢ / ١٧٩ .

(٢) حصن بقيرة : حصن قرب مويش كما يبدو من النص التالي .

(٣) ابن عذاري : البيان المعرب ، ٢ / ١٧٩ .

(٤) لا داعي لذكر بقية النص لأنني عرفت بما ذكر قبل هذا النصر واشترت إليه في الحاشية رقم (١) .

(٥) ابن عذاري : مصدر سابق ، ٢ / ١٧٩ .

يتضح لنا من هذا النص أن أمير المؤمنين كان ينتقل في هذه الصائفة من موقع إلى آخر في أرض العدو أو الأرض التي كان العدو يستولي عليها من المسلمين مواصلاً القتال في كل مراحلها ، والأمر المهم في هذا النص أن القائد شانجة كان مراوغاً متنقلاً من مكان إلى آخر ، وكان يخلي المواقع التي يعلم أنه لا يستطيع الدفاع عنها ، ولذا فقد كان مصير هذا الحصن كغيره من الحصون الخالية السابقة ، وهو الاستيلاء عليه من قبل المسلمين أولاً ، ثم هدمه إذا كان يشكل عليهم خطراً ثانياً .

عرفنا من التقديم لهذه الصائفة أنها انتهت عند هذا الحصن الذي كان قريباً من حصن مويش وهو آخر الأهداف لهذه الحملة ، وقد أشرت إلى المدة التي قضاها عبد الرحمن الناصر في هذه الصائفة ، وأرى أنه لا بد من استخلاص النتائج والملاحظات التالية ومنها :

١- يقظة الخلافة الأموية في الأندلس ومراقبتها للأعداء ومعرفة تحركاتهم ، وأثر ذلك على المسلمين .

٢- تجريد الجيوش الإسلامية والاستعداد التام لقتال هؤلاء الأعداء .

٣- إن الصوائف في بعض الأحيان كانت على مسافات بعيدة من دار الخلافة، وتستغرق الوقت الطويل كي تصل إلى أهدافها .

٤- كانت سيرة الصائفة قتالية منذ البداية وفي كل محطة من محطاتها كانت قتالية وتحمل المفاجآت العسكرية .

٥- كان النصر حليف هذه الصائفة لوجود أمير المؤمنين على رأسها ، ولقوة جيشه وذلك بعد توفيق الله الذي ينصر من ينصره . ويبدو ذلك واضحاً رغم تحالف الأعداء ومناوراتهم .

٦- إخلاء الأعداء لكثير من مواقعهم وحصونهم ومدنهم وقراهم .

٧- خوف الأعداء من المسلمين لتصميمهم على الجهاد في سبيل الله وقوة جيوشهم ، وقدرتهم على القتال .

ومن جهة أخرى فلا بد من إبداء بعض الملاحظات على هذا النص ، ورغم وصف النص لجميع مراحل هذه الصائفة ، إلا أنه جاء غير موضح لكثير من الأمور التي نذكرها فيما يلي :

١- رغم وصف الجيش الإسلامي بالكثيرة ، فإن النص لم يذكر لنا ولو أعداداً تقريبية لأعداد جيش هذه الصائفة .

٢- ذكر لنا النص انتصار المسلمين في جميع مراحل هذه الصائفة ، لكنه لم يذكر لنا خسائر المسلمين من الجنود ومن العتاد ووسائل القتال .

٣- لم يحدد النص خسائر الأعداء في كل مرحلة من هذه المراحل ، وإن أشار إليها إشارات غير واضحة في جميع الأحيان .

٤- لم يبد النص وضوحاً عن الأسرى من كلا الطرفين ، المسلمين وأعدائهم الكفار .

٥- لم يحدد النص المواقع التي قاتل فيها المسلمون أعداءهم بالقرب من أي مدينة أو من أي مقاطعة من الأندلس بل اكتفى بذكر أسماء تلك المواقع والحصون ، فضلاً عن عدم ذكره أسماء المناطق الطبغرافية التي مروا بها .

٦- أشار إلى الغنائم التي استولى عليها المسلمون غير أنه لم يحدد لنا مجموع هذه الغنائم ولا غنائم كل موقع قاتل فيه المسلمون .

٧- لم يبين لنا طريقة تعامل المسلمين مع أهل الحصون التي استولوا عليها من غير المقاتلين وأسرهم ممن سبي منهم .

المبحث الثالث : الشواتي والصوائف في العصر العباسي

أولاً : الشواتي :

عرفنا أن الشواتي كانت قليلة في العصر العباسي إذا ما قورنت بطول هذا العصر ، وإذا ما قورنت بالشواتي في العصر الأموي ، وأوضحت أسباب ذلك ، وأتناول أمثلة من الشواتي والصوائف بالدراسة والتحليل على النحو التالي :

الشاتية الأولى : **شاتية ملطية** : حدثت هذه الشاتية سنة ١٧٧ هـ وقائدها سليمان بن راشد الثقفي ، كما يعلمنا خليفة بن خياط[١] بقوله : (وأغزى هارون عبدالله بن صالح على الصائفة وسليمان بن راشد الثقفي الشاتية ، فقفل عبدالله سالماً ، وكلب الشتاء على سليمان فعصا بعض أصحابه ، ومات بعضهم ، ووصل إلى ملطية)[٢] .

يهمنا من هذا النص ما يخص الشاتية ، وكتبت بقية النص لاستقامة المعنى .

ويعلمنا عن هذه الشاتية الطبري قائلاً : (وغزا الشاتية فيها سليمان بن راشد ومعه البيد[٣] بطريق صقلية)[٤] . أما ابن الأثير فيعلمنا عنها قائلاً : (وغزا الشاتية سليمان بن راشد ومعه البند بطريق صقلية)[٥] ونرى ابن كثير يجعلها من أحداث سنة ١٧٨ هـ قائلاً : (وغزا الشاتية سليمان بن راشد)[٦] .

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٤٥٠ .

(٢) ملطية : بلدة من بلاد الروم بناها أبو جعفر المنصور سنة ١٤٠ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥/١٩٢–١٩٣ .

(٣) وردت عند الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤ / ٤٥٦ وعند ابن الأثير الكامل في التاريخ ، ٥ / ٩٩ البند .

(٤) الطبري : مصدر سابق ، ٤ / ٤٥٦ .

(٥) ابن الأثير : مصدر سابق ، ٥ / ٩٩ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠ / ١٧٩ .

لا بد من التعرض لأوجه الاتفاق والاختلاف في هذا النص عند دراسة هذه الشاتية والتي لم يكن النص المتعلق بها واضحاً وكاملاً ، وهو بحاجة إلى ايضاح ومن ذلك :

١- الاتفاق عند جميع أصحاب النصوص التي ذكرتها على أنها شاتية .

٢- الاتفاق عند كل من خليفة بن خياط ، والطبري ، وابن الأثير على السنة وهي سنة ١٧٧ هـ ونجد ابن كثير يجعلها سنة ١٧٨هـ .

٣- اسم قائد هذه الشاتية عند خليفة بن خياط هو سليمان بن راشد الثقفي ، ولم يرد اسم الثقفي عند الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير ، بل ذكروا سليمان بن راشد فقط .

٤- لم يذكر خليفة بن خياط مساعد هذا القائد ، وهو البيد بطريق صقلية عند الطبري، والبند بطريق صقلية عند ابن الأثير ، ووافق ابن كثير خليفة بن خياط بعدم ذكر البيد مساعداً له .

٥- حدد خليفة بن خياط مكان وصول هذا القائد بشاتيته إلى ملطية ، بينما لم يذكر هذا المكان عند الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير .

٦- حدد خليفة بن خياط نتائج هذه الشاتية وهي الفشل ، ولم يشر أياً من الطبري ، أو ابن الأثير ، أو ابن كثير ، إلى شيء من ذلك .

٧- ذكر خليفة بن خياط أسباب فشل هذه الشاتية وهي تمرد أصحاب سليمان بن راشد عليه أولاً ، وموت بعضهم من الشتاء ثانياً ، وأوضح السبب الأساسي في ذلك وهو تكالب فصل الشتاء ، بينما لم نجد عند الطبري ، ولا عند ابن الأثير ، ولا عند ابن كثير ، أثراً لهذه الأسباب .

٨- انفرد خليفة بن خياط بأن الذي أغزا هذا القائد هو هارون الرشيد .

إن مما يلفت النظر في هذه الشاتية وجود البيد أو البند وهو بطريق صقلية ، وهذا الأمر يدفع إلى بعض التساؤلات التي لم أجد لها جواباً عند من ذكر هذه الشاتية مما يدفع لبعض التساؤلات حول هذا الوضع ومنها :

هل جاء هذا البطريق زائراً ؟ أم جاء إلى بغداد وأعلن إسلامه ؟

أم كان مسلماً حديثاً وعرف بالبطريق ؟ وهذا يدفعني لترجيح كونه مسلماً وخرج للجهاد في هذه الشاتية ، أو ربما كان على معرفة بالطريق فخرج دليلاً لهذا الجيش وربما كان الترجيح الأول أقرب إلى الواقع ؟

وإذا عدنا إلى نتائج هذه الشاتية التي كانت نتيجتها الفشل ، لا أقول الانكسار أو الهزيمة لأن المسلمين لم يقاتلوا العدو في هذه الشاتية . غير أن هذه النصوص حملت في طياتها كثيراً من الأمور غير الواضحة ومن ذلك :

١- لم تحدد النصوص قوة هذه الشاتية ، ولا مكان انطلاقها ، ولا طريقة الاستعداد لها .

٢- لم يذكر خليفة بن خياط أسباب عصيان أصحاب سليمان بن راشد الثقفي في الوقت التي لم تشر النصوص الأخرى إلى هذا العصيان ، ولا أين مات البعض الآخر .

٣- لم يبين لنا كيف وصل هذا القائد إلى ملطية ولا مكان وصوله فيها .

٤- لم يبين أياً من أصحاب هذه النصوص كيف عاد قائدها ولا إلى أين .

الشاتية الثانية : شاتية أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة وقيل الباهلي[1] :

حدثت هذه الشاتية سنة ٢٣١هـ ومكانها أرض الروم من جهة نهر البذندون ، ويعلمنا عنها الطبري بقوله : (ولما انقضت المدة بين خاقان والروم وهي أربعون

(١) ذكره باسم أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي ، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٤٨٠ ، وكذلك الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥ / ٧٢ قبل ذكر النص الثاني .

يوماً، غزا أحمد بن سعيد بن قتيبة شاتياً فأصاب الناس الثلج والمطر ، فمات منهم قدر مائتي إنسان وغرق في البذندون قوم كثير وأسر منهم نحو مائتين ، فوجد مائتي، فوجد أمير المؤمنين الواثق عليه لذلك ، وحصل جميع من مات ، وغرق خمسمائة إنسان ، وكان قد أقبل إلى أحمد بن سعيد ، وهو في سبعة آلاف ، بطريق من عظمائهم فخبر عنه ، فقال له وجوه الناس : إن عسكراً فيه سبعة آلاف لا يتخوف عليه فإن كنت لا تواجه القوم فتطرف بلادهم ، فأخذ نحواً من ألف بقرة وعشرة آلاف شاه وخرج ، فعزله الواثق وعقد لنصر بن حمزة الخزاعي يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادي الأولى من هذه السنة)[1] .

ونجد النص أكثر وضوحاً عند ابن الأثير إذ يقول : (ولما فرغوا من الفداء غزا أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي شاتياً ، فأصاب الناس ثلج ومطر ، فمات منهم مائتا نفس ، وأسر نحوهم ، وغرق في البنذندون خلق كثير ، فوجد الواثق على أحمد ، وكان قد جاء إلى أحمد بطريق من الروم ينذره ، فقال وجوه الناس لأحمد : إن عسكراً فيه سبعة الآن لا تتخوف عليه ، فإن كنت كذلك ، فواجه القوم واطرق بلادهم ، فقفل وغنم نحواً من ألف بقرة وعشرة آلاف شاه وخرج ، فعزله الواثق واستعمل مكانه نصر بن حمزة الخزاعي في جمادي الأولى)[2] .

كان الواثق قد عقد لأحمد بن سعيد بن قتيبة الباهلي على الثغور والعواصم وأمره بحضور الفداء مع الروم[3] ، وبذلك يكون أحمد أمير الثغور وبإمكانه التحرك فيها وفي داخل الأراضي الرومية .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥ / ٧٣ — ٧٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥ / ٢٧٥ .

(٣) الطبري : مصدر سابق ، ٧٢ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، ٥ / ٧٥ .

انقضت الهدنة بين المسلمين والروم ، فنهض أحمد بن سعيد للغزو شتاءً بجيش قوامه سبعة آلاف مقاتل ، ولقد جاء هذا النص مختلفاً عن كثير من النصوص التي تناولناها في دراسة الشواتي السابقة .

عندما غزا أحمد بن سعيد حل به وبجيشه فصل الشتاء ، وكان جواً بارداً تساقط فيه الثلج والمطر ، فكان ذلك سبباً في وفاه بعض جنده وعددهم مائتا جندي ، غير أنهم لم يستاؤا من التقلبات المناخية الشديدة ، واستمرت القافلة ، غير أن موت عدد آخر من جنده كانت بسبب الغرق في نهر البذندون الذي ربما لم يكن لدى هذا القائد إمكانيات لقطعه ، ثم إن العدد الذي وقع في أسر الأعداد زاد في نقص عدد هذا الجيش ، ويجمل الطبري عدد من مات أو غرق بحوالي خمسمائة إنسان ، ولم يُحَدَّد العدد عند ابن الأثير .

غير أن بعض المعوقات اعترضت طريق هذا الجيش وفترت همة قائده ، ومنها فضلاً عما ذكرنا قدوم بطريق من الروم يحذر وينذر أحمد بن سعيد من الروم ، وربما من أمور أخرى لم ترد واضحة عند الطبري ولا عند ابن الأثير .

وتحت تشجيع وجوه الناس المرافقين لهذا القائد وتوضيحهم لكثرة عدد هذا الجيش ، نرى أحمد بن سعيد يسير متوكلاً علي الله ، فيطرق القوم ويدخل بلادهم، ويحصل على غنائم بلغت ألف بقرة وعشرة آلاف شاه .

لقد كان الخليفة الواثق بالله مشفقاً على هذا القائد أولاً وعلى الجيش الذي معه وغير محبذٍ للمغامرة بالناس ثانياً ، وحتى لاتتكرر شاتيته هذه عمل على عزله عن الثغور والعواصم ، وجعل بدلاً منه نصر بن حمزة الخزاعي وذلك في يوم الثلاثاء ولأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ، وهذا التاريخ حدده الطبري ، واكتفى ابن الأثير بذكر الشهر دون تحديد اليوم .

لقد جاء هذا النص أطول من النصوص السابقة في العهد الأموي وكان شاملاً حاوياً لكثير من الأمور عند كل من الطبري وابن الأثير مع الاتفاق في هذه الأمور، ومن ذلك :

١- الاتفاق على اسم القائد وعمله في الثغور وكونه رئيس وفد تبادل الأسرى كما ألمحت سابقاً .

٢- الاتفاق على التاريخ وهو بعد الانتهاء من تبادل الأسرى بين الطرفين الإسلامي والرومي .

٣- الاتفاق على عدد الجيش وهو سبعة آلاف مقاتل .

٤- الاتفاق على عدد خسائر المسلمين من موت بالبرد ، والغرق ، والأسر دون تحديد عدد الغرقى ، مع الاتفاق على عدم ذكر عدد خسائر الروم من القتلى .

٥- الاتفاق على عدد الغنائم التي حصل عليها المسلمون ألف بقرة وعشرة آلاف من الأغنام .

٦- الاتفاق على ذكر وَجْد الخليفة الواثق على ما حدث للمسلمين في هذه الشاتية وقائدها .

٧- الاتفاق على عزل قائد هذه الشاتية من عمله في الثغور .

الشاتية الثالثة : شاتية أرض الروم من ناحية طرسوس[1] : تاريخ هذه الشاتية سنة ٣٠٢ هـ وقائدها بشر بن أبي الساج ومكانها أرض الروم من ناحية طرسوس في عهد المقتدر . ويعلمنا الطبري عن ظروف وأحوال هذه الشاتية قائلاً : (إشخاص الوزير على بن عيسى ... بن عبد الباقي في ألفي فارس فيها لغزو الصائفة معونة

---

(١) طرسوس : مدينة بالثغر الشامي بين انطاكية وحلب وبلاد الروم ، ذكرها وفصل معلوماتها ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤ / ٢٨ — ٢٩ .

لبشر خادم ابن أبي الساج وهو والي طرسوس من قبل السلطان إلى طرسوس فلم يتيسر لهم غزو الصائفة فغزوها شاتية في برد شديد وثلج)[1] .

ويسير على منوال هذا النص ابن الأثير فيعلمنا بقوله : (في هذه السنة أمر علي بن عيسى الوزير بالمسير إلى طرسوس لغزو الصائفة فسار في ألفي فارس معونة لبشر الخادم والي طرسوس ، فلم يتسير لهم غزو الصائفة فغزوها شاتية في برد شديد وثلج)[2] .

تناول هذه الشاتية كل من الطبري ، وابن الأثير ، ولم يذكرها بعدهما ابن كثير ، وقد وردت مبتورة في النصين السابقين وربما كان هذا لسبب في عدم ذكر ابن كثير لها ؛ غير أنها حوت على كثير من المعلومات التي ذكرتها عن دور الولاه أو نوابهم في تسيير الصوائف والشواتي ، وقد اكتنف هذه الصائفة بعض الأمور الغامضة والأسباب الدافعة لها رغم ما حوى النصان من معلومات ودلالات ، وأتناولها على النحو التالي :

النص الأول : أوضح هذا النص أن الذي أمر بالمسير إلى ناحية طرسوس هو الوزير على بن عيسى ، واسم القائد المأمور غير كامل عند الطبري مفصول بنقاط هكذا ..... بن عبد الباقي وعليه فإن هذا القائد سار في ألفي فارس ، وسبب هذا المسير لمساعدة بشر الخادم وهو خادم ابن أبي الساج ، وكان والياً من قبل السلطان على طرسوس ، فلما وصلت المساندة لم يتمكنا من الغزو صيفاً فغزوها شتاءً ، كان الجو بارداً وكان المطر شديداً وكان الثلج كثيراً ، فساروا في هذه الشاتية في هذه الظروف المناخية القاسية .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥ / ٤٠٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٦ / ١٤٨ .

أما ابن الأثير فيجعل الأمر من قبل الوزير علي بن عيسى دون الإشارة إلى القائد الذي قاد ألفي فارس ، ولم يذكر عن بشر الخادم أنه كان خادماً لابن أبي الساج، ويبين أنهما لم يتمكنا من غزو الصائفة ، فجعلاها شاتية ، وكانت الظروف نفسها التي ذكرت عند الطبري .

ومن الجدير ذكره أن كلا النصين لم يذكر الأسباب التي أجلت الصائفة حتى صارت شاتية ، وربما كان ذلك لتجميع أكبر قدر من القوات ؛ كي يتمكنا من الانتصار على الروم كما أشرت في بداية هذا البحث عن المشاكل التي تعترض الصوائف والشواتي أو ربما كانت حركة الروم بعيدة في هذا الثغر ، أو ربما كانوا قد تحركوا نحو المسلمين ثم ابتعدوا عنهم .

إن هذين النصين لم يوضحا كيف ساروا إلى الشاتية ، ولا من أين ساروا ولا حتى كيف واجهوا الروم ، مما زاد في غموض هذه الشاتية من خلال النصين السابقين ، ولا يفسرها إلا ما ذكره الطبري ، وابن الأثير لاحقاً من أحداث هذه السنة كما يبدو في النصين التاليين عند الطبري وابن الأثير :

أولاً : **النص الثاني عند الطبري** : ويعلمنا فيه عن أحداث نفس السنة أي ٣٠٢ هـ قائلاً : (ورد كتاب من بشر عامل السلطان على طرسوس يذكر فيه غزوة أرض الروم وما فتح فيها من الحصون ، وما غنم ، وسبى ، وأنه أسر من البطارقة مائة وخمسين، وأن مبلغ السبي نحو من ألفي رأس)[1] .

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥ / ٤٠٧ .

ثانياً : النص الثاني عند ابن الأثير : ويخبرنا فيه قائلاً : (فيها غزا بشر والي طرسوس بلاد الروم ففتح فيها وغنم وسبى وأسر مائة وخمسين بطريقاً ، وكان السبي فيها نحو من ألفي رأس)[1] .

لولا ما ذكره الطبري وابن الأثير فيما ذكر لبدت هذه الشاتية غير واضحة النتائج ، ولكانت مبتورة ، فنعلم من الطبري انتهاء هذه الشاتية بورود كتاب بشر الخادم يعلن فيه أنه : غزا بلاد الروم ، وفتح فيها بعض الحصون ، غير أن ابن الأثير أشار إلى غزو بشر ، وأنه فتح بلاد الروم دون ذكر الحصون ، وكانت هذه أولى البشائر والنتائج لهذه الشاتية .

وكانت البشارة الثانية : الغنائم من الأسرى وعددهم مائة وخمسين بطريقاً أي قائداً ، وألفي رأس من السبي ، والسبي هنا من النساء ومن صغار السن من الأولاد والبنات ، وما كان ذلك يتحقق بدون انتصار المسلمين في هذه الشاتية وبذلك كانت البشارة الثالثة في هذا الكتاب .

ومن خلال دراسة هذين النصين مع ما سبق يمكننا أن نبين كثيراً من الأمور التي أشرت إليها في بداية هذا الكتاب ومن ذلك :

١- اهتمام دار الخلافة ببغداد بالثغور الإسلامية ، والاتصال المستمر مع ولاتها ، ولذلك كانوا يوجهونهم ويرسلون النجدة إليهم .

٢- يبدو واضحاً دور الخليفة والسلطان والوزير وكبار رجال الدولة في عملية ترسيم ولاة الثغور ، والعمل على إعانتهم في أثناء الشدة .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٦ / ١٥٠ .

٣- نشاط الغزو الإسلامي ممثلاً في الشواتي والصوائف لبلاد الروم في جميع نقاط التماس .

٤- بدا واضحاً دور ولاة الثغور أو من ينوب عنهم في السهر على الحدود الإسلامية سواء بأمر من دار الخلافة ، أو بتصرف منهم حسبما تقتضيه الحاجة ويستدعيه الظرف .

٥- إن المدد كان سريعاً والنجدة قوية لردع أعداء الإسلام من الروم وغيرهم ، كي لا يطمعوا في أكثر من ذلك هذا الأمر الذي سيهمل في بقية أيام الخلافة العباسية فيؤدي طمع الأعداء إلى غزو الدار نفسها .

الشاتية الرابعة : شاتية أرض الروم : وتاريخها سنة ٣١٩هـ ، وموعدها فصل الشتاء، ومكانها أرض الروم ولم يحدد المكان بالذات وقائد هذه الحملة ثمال ، وكان والياً على طرسوس ، ويعلمنا عنها ابن الأثير قائلاً : (في هذه السنة في ربيع الأول غزا ثمال وإلى طرسوس بلاد الروم ، فعبر نهراً ونزل عليهم ثلج إلى صدور الخيل ، وأتاهم جمع كثير من الروم فواقعهم ، فنصر الله المسلمين ، فقتلوا من الروم ستمائة وأسروا نحواً من ثلاثة آلاف وغنموا من الذهب والفضة والديباج وغيره شيئاً كثيراً)[١] .

وجاءت هذه الشاتية عند ابن كثير على نحو أقل وضوحاً فنراه يقول : (وفيها أوقع ثمل متولي طرسوس بالروم وقعة عظيمة ، قتل منهم خلقاً كثيراً وأسر منهم نحواً من ثلاثة آلاف وغنم من الذهب والفضة والديباج شيئاً كثيراً جداً)[٢] .

ولا نجد لهذه الشاتية ذكراً عند أبي محمد عبدالله بن أحمد الفرغاني في كتابه الذي وصل به كتاب الطبري بل يجعل غزو أرض الروم على يد غير ثمال[٣] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٦ / ٢١٦ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١١ / ١٧٨ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، صلة تاريخ الأمم والملوك ، ٥ / ٤٧٦ .

لقد ذكر ابن ألأثير هذه الغزوة بأنها شاتية ، وكان أقرب عصراً من ابن كثير الذي ذكرها بأنها وقيعة من ثمل الذي هو ثمال وإلى طرسوس .

إن من ينظر إلى هذين النصين يبدو عنده أن النص الأول جاء أكثر وضوحاً ، فإن ثمال والي طرسوس غزا بلاد الروم ، ويحدد مكان العبور بنهر لا يذكره ، ويوضح الظروف المناخية التي أحاطت بهذه الشاتية والمتمثلة بالثلج الغزير الكثير الذي وصل إلى صدور الخيل أي بمستوى أكثر من متر تقريباً ، ويدلنا ذلك أن هذه الشاتية حدثت في شهر كانون الأول أو كانون الثاني من سنة ٣١٩هـ .

اشتمل هذا النص على عدة حقائق تزيد قليلاً عما ذكره ابن كثير ومن ذلك :

أ- معوقات هذه الشاتية وتتمثل في عاملين هما :

١- الثلج : وهو العائق الأول الذي يعيق الخيل والجيش ، ورغم ذلك فقد سار هذا القائد غير عابئ به ولم يذكر ابن كثير ذلك .

٢- اجتماع الروم ضده وبأعداد كثيرة ، وربما حمل هذا الجيش عنصر المفاجأة .

ب- النصر الذي حققه هذا الجيش بقيادة ثمال والذي عبر عنه ابن الأثير بقوله : (فنصر الله المسلمين) ويعبر عنه ابن كثير بقوله : (أوقع ثمل ... وقعة عظيمة) .

ج- خسائر الروم فقد ذكر ابن الأثير أن عدد القتلى بلغ ستمائة قتيل وعند ابن كثير بلغ خلقاً كثيراً أولاً أو بلغ عدد الأسرى ثلاثة آلاف أسير ثانياً ولم يذكرا عدد السبي، ومرد ذلك أن الروم قد قدموا عليهم في جيش أعد لحرب المسلمين ولم يهاجم المسلمون القرى والحصون والمدن .

د- الغنائم : اتفق ابن الأثير وابن كثير على ذكر غنائم المسلمين في هذه الشاتية والتي تشمل على :

١- غنائم من الذهب والفضة .

٢- غنائم الديباج .

٣- غنائم أخرى لم تذكر ولم يحدها ابن الأثير ولم يشر إليها ابن كثير .

وكان اتفاقهما على كثرتها مع اختلاف ابن كثير . فقد ميزهما بكلمة جداً .

ثانياً : الصوائف :

أشرت إلى الصوائف في العصر العباسي عندما تناولت أهم القادة في هذا العصر، وأتناول بعض الأمثلة على هذه الصوائف دراسة مقارنة وتحليلاً ومن ذلك :

الصائفة الأولى : صائفة صالح بن علي والعباس بن محمد في أرض الروم : أقام صالح بن علي والعباس بن محمد بملطية مدة من الزمن حتى استتما بناءها ثم قاما بغزو الصائفة التي حدثت سنة ١٣٩ هـ ، وكان مكان انطلاقها من ملطية وقد سبقت الإشارة إليها وسلكت طريق درب الحدث ، وكانت بقيادة صالح بن علي والعباس بن محمد[١] ، ويعلمنا عن هذه الصائفة الطبري قائلاً : (ثم غزوا الصائفة من درب الحدث [٢] فوغلا في أرض الروم وغزا مع صالح أختاه أم عيسى ولبابة ابنتا علي ، وكانتا نذرتا إن زال ملك بني أمية أن تجاهدا في سبيل الله)[٣] .

ونجد النص نفسه عند ابن الأثير دون تفسير أو تعليل فيقول : (ثم غزوا الصائفة من درب الحدث فوغلا في أرض الروم ، وغزا مع صالح أختاه أم عيسى ولبابة بنتا علي وكانتا نذرتا إن زال ملك بني أمية أن تجاهدا في سبيل الله)[٤] .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤ / ٣٥١ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٤ / ٣٥٩ ، وابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠ / ١٧٧ .

(٢) درب الحدث : الحدث حصن بين ملطية وسمياط ومرعش ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢ / ٢٢٧ — ٢٢٩ .

(٣) الطبري : مصدر سابق ، ٤ / ٣٥١ .

(٤) ابن الأثير : البداية والنهاية ، ٤ / ٣٥٩ .

و النص نفسه ذكره ابن كثير ، ذكر فيه دور صالح بن علي ، ولم يشر إلى دور العباس بن محمد ويقول : (فيها أكمل صالح بن علي بناء ملطية ثم غزا عن طريق الحدث فوغل في بلاد الروم ، وغزا معه أختاه أم عيسى ولبابة ابنتا علي ، وكانتا نذرتا إن زال ملك بني أمية أن تجاهدا في سبيل الله عز وجل)[1] .

تبدو هذه الصائفة مهمة لأمور عدة منها :

١- إن قائدي هذه الصائفة كانا من أهل بيت الخلافة .

٢- إن هذه الصائفة كانت بداية الحكم العباسي .

٣- خروج النساء في الصوائف لهدف أو لغرض معين فضلاً عن كونهما أختا القائد مع ذكر أسمائهما .

ومما تجدر الإشارة إليه أن نصوص هذه الصائفة جاءت محتوية معلومات غير شافية لإكمال صورة هذه الصائفة ، ومما يلفت النظر في هذه النصوص إجماع أصحابها على ذكر النص متقارباً جداً في كلماته ، وبعد أن مهدت لها قبل أخذ النصوص مبيناً مكان قائديها في ملطية أود أن أوضح الحقائق التالية :

أولاً : إن صالح بن علي وابن أخيه العباس بن محمد كانا في مهمة وهي إعادة بناء ملطية والتي كانت عاصمة ثغر بين المسلمين والروم ، ويبدو أن هذه المهمة تمت إما بموافقة أو بأمر من أبي جعفر المنصور والذي سيهتم بهذه المدينة كما ذكر ياقوت الحموي [2].

(١) ابن كثير : مصدر سابق ، ١٠ / ٧٧ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥ / ١٩٢ – ١٩٣ .

ثانياً : مكان انطلاق الصائفة من ملطية التي قام ببنائها والإشراف عليها هذان القائدان .

ثالثاً : طريق هذه الصائفة كانت من درب الحدث الذي أشرت إليه في الحاشية الثانية من هذه الصائفة سابقاً ، وهو طريق مهم اهتم به بنوا أمية والعباسيون .

رابعاً : دخول القائدين صالح بن علي والعباس بن محمد أو صالح بن علي لوحده كما ذكر ابن كثير إلى عمق كبير في أرض الروم مغامراً بأختيه .

خامساً : من الثابت في هذه الصائفة خروج أختي صالح بن علي وهما أم عيسى ولبابة لتفيا بنذر قد نذرتاه إذا زال حكم بني أمية .

إن هذا النذر يبدو صحيحاً لأن العباسيين قد ذاقوا من بني أمية الأمرّين ، مما دفعهم إلى نبش قبورهم وجلدهم وأحراقهم أمواتاً[1] ، ويبدو أن هذا النذر كان شفاء للغليل عند هاتين الأختين ، ثم إنه ليس غريباً أن ترتحل النساء مجاهدات في سبيل الله ، إلا أن مغامرة هاتين الأختين بحياتهما كان فيه نوع من الشدة ، ومن الملفت للنظر في هذا النذر أن الطبري وابن الأثير وابن كثير قد سلما به دون إبداء رأي أو تعليق بكلمة واحدة .

غير أن هذه النصوص جاءت ناقصة لم توضح كثيراً من المعلومات ومن ذلك :

أولاً : أنها لم تبين عدد الجيش الإسلامي في هذه الصائفة ولا كيف تم إعداده مما يدفعني للقول أن هذا الجيش كان قد أرسل من بغداد بقصد بناء هذه المدينة أولاً ، وللغزو ثانياً بعد الانتهاء من بنائها .

---

(١) القضاعي : عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف (تحقيق) د . عبد الرحيم محمد علي ، ١٩٢ .

ثانياً : لم توضح هذه النصوص هدف هذه الصائفة في أرض الروم ، ولا أشارت إلى أي نقطة طبغرافية ولا مكان نهاية التوغل .

ثالثاً : لم تذكر هذه النصوص ظروف الروم العسكرية ، ومدى استعدادهم للقتال مما يدفعني للقول أن سبب هذا التوغل عدم وجود مقاومة .

رابعاً : لم يظهر من هذه النصوص نتائج لهذه الصائفة من نصر أو هزيمة، ولا خسائر لكلا الطرفين من أسرى وقتلى .

خامساً : لم تذكر هذه النصوص غنائم المسلمين من بلاد الروم .

سادساً : لم تحدد هذه النصوص موعد عودة هذا الجيش وقادته ولا مصير أختيه .

حدثت هذه الصائفة حسب ما ذكر في النصوص السابقة ولم يبد في هذه النصوص اختلاف جوهري بل حتى وإن اختلفت الكلمات من نص لآخر ، فإن هذا الاختلاف لم يؤد إلى اختلاف في المعنى أو اختلاف في الرأي وكلها تفي بالغرض وتؤدي نفس المعنى .

الصائفة الثانية : صائفة حصن سمالو : حدثت هذه الصائفة سنة ١٦٣ هـ ، وموقع هذه الصائفة منطقة من أرض الروم فيها عدة حصون منها حصن سمالو ، وقائد هذه الصائفة هارون الرشيد بن المهدي . وكانت بأمر من المهدي ، وكانت صائفة مهمة ، يعلمنا عنها خليفة بن خياط قائلاً : (فيها غزا هارون أمير المؤمنين في خلافة أبيه فأصاب سبايا كثيرة وخرثيا[1] وامتعات[2])[3].

---

(١) خُرثيا : أرادا المتاع والغنائم وهي سقط البيت من المتاع ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ٤ / ٥٢ ، عم .
(٢) امتعات : يقصد بها أمتعة ، وما يتمتع به من حوائج البيت وعروض الدنيا ، المصدر نفسه ، ١ / ١٧ ، بتصرف .
(٣) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٤٣٧ .

ويجعل الطبري لهذه الصائفة مقدمات ، إن المهدي بدأ يعد العدة من أجل تجهيز الجيوش وعسكر بالبردان[1] فبقي مدة شهرين تقريباً يعد العدة ويعبئ فيها الجيوش[2] ويعلمنا بقوله : (إن المهدي لما وجه الرشيد إلى الصائفة سنة ١٦٣ هـ وشيع[3] المهدي ابنه هارون حتى قطع الدرب وبلغ جيحان[4] وارتاد بها المدينة التي تسمى المهدية[5] ، وودع هارون على نهر جيحان ، فسار هارون حتى نزل رستاقاً من رساتيق أرض الروم فيه قلعة يقال لها سمالو فأقام عليها ثمانية وثلاثين ليلة وقد نصب عليها المجانيق حتى فتحها الله بعد تخريب لها وعطش وجوع أصاب أهلها وبعد قتل وجراحات كانت في المسلمين وكان فتحها على شروط شرطوها لأنفسهم : لا يقتلوا ، ولا يرحلوا ، ولا يفرق بينهم ، فأعطوا ذلك فنزلوا ووفي لهم ، وقفل هارون بالمسلمين سالمين إلا من كان أصيب منهم بها)[6] .

أما الأزدي فيجعل لها عدة نصوص أتناول منها ما يخص الصائفة ومن ذلك قوله (فيها أغزا المهدي ابنه هارون بلاد الروم .... وسار المهدي مع هارون حتى بلغ دون الروم فدخل هارون ورجع المهدي)[7] .

---

(١) البردان : نهر بثغر طرسوس مجيئه من بلاد الروم ويصب في البحر ، وقيل نهر يسقي بساتين مرعش وضياعها ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ١ / ٣٧٦ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤ / ٣٩٨ .

(٣) النصوص المتعلقة بهذه الصائفة طويلة ومتعددة ولكني أخذت منها ما يمسها مباشرة وقد نكرها ، المصدر نفسه ، ٤ / ٣٩٨ — ٤٠٠ .

(٤) جيحان : نهر بالمصيصة بالثغر الشامي ، ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ٢ / ١٩٦ .

(٥) المهدية : مدينة قرب جيحان كما يفهم من النص .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤ / ٤٠٠ .

(٧) الأزدي : تاريخ الموصل ، ٢٤٣ .

والنص الثاني يجعله سنة ١٦٤هـ ويقول : (فيها قدم هارون بن المهدي من بلد الروم بالسبي والغنائم)[١] .

ونرى ابن الأثير يتناول هذه الصائفة بقوله : (وسار عنها[٢] مشيعاً لابنه هارون الرشيد حتى جاز الدرب ، وبلغ جيحان فسار هارون ومعه عيسى بن موسى، وعبد الملك بن صالح ، والربيع ، والحسن بن قحطبة ، وسليمان بن برمك ويحيى بن خالد بن برمك – وكان إليه : أمر العسكر ، والنفقات ، والكتابة ، وغير ذلك – فساروا ، فنزلوا على حصن سمالو ، فحصره هارون ثمانية وثلاثين يوماً نصب عليه المجانيق ففتحه الله بالأمان ووفي لهم وفتحوا فتوحاً كثيرة ...[٣] وقفل المسلمون سالمين إلا من قتل)[٤]

وأما ابن كثير فيعلمنا عنها بقوله (وفيها جهز المهدي البعوث من خراسان وغيرها من البلاد لغزو الروم وأمر على الجميع ولده هارون الرشيد ، وخرج من بغداد مشيعاً له فسار عدة مراحل .... مشيعاً له حتى بلغ الرشيد إلى بلاد الروم، وارتادوا هناك المدينة المساماة بالمهدية في بلاد الروم ... فسار هارون الرشيد إلى بلاد الروم في جحافل عظيمة ، وفتح الله عليهم فتوحات كثيرة وغنموا أموالاً جزيلة جداً).

تبدو عظمة هذه الصائفة من خلال مجموعة من الحقائق التي اتفقت عليها هذه النصوص ومن ذلك :

---

(١) المصدر نفسه ، ٢٤٥ .

(٢) يعني مدينة حلب .

(٣) حذفت من النص ما ليس له علاقة بهذه الصائفة .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥ / ٦٣ .

١- إن الخليفة المهدي هو الذي أمر بهذه الصائفة كما يبدو من النصوص السابقة ما عدا النص الذي ذكره خليفة بن خياط .

٢- إن قائد هذه الصائفة هارون الرشيد الذي سيكون بعدها خليفة وعلى وجه التحديد بعد أخيه الهادي .

٣- إن المهدي أعد الجيوش الكثيرة من أجل إنجاح هذه الصائفة كما يبدو من النص عند الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير ، الأمر الذي لم يذكره خليفة بن خياط، والأزدي .

٤- الحشد الكبير من كبار القادة والوزراء الذين ساروا مع هارون الرشيد والذين ذكرهم الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير ، وإن لم يشر إليهم خليفة بن خياط ، ولا الأزدي ؛ مما يدل على أهمية هذه الصائفة .

٥- تحديد المواضع التي سلكها المهدي لتوديع ابنه هارون الرشيد والمسافة التي قطعها حتى فارقه ، ومن ذلك مدينة المهدلية ونهر جيحان والتي ذكرها كل من الطبري وأشار إلى المسافة الأزدي وذكر المواضع أيضاً ابن الأثير وابن كثير ولم يذكر ذلك خليفة بن خياط ، هذه المسافة التي وصلت حدود الروم .

٦- المسافة التي أوغل فيها هارون الرشيد في بلاد الروم حتى وصل إلى حصن سمالو.

٧- الفتوح التي حققها هارون الرشيد ومنها حصن سمالو وغيرها من الفتوح، كما أشار إلى ذلك ابن الأثير ولم يحددها ، وكذلك سار على نهجه ابن كثير ، ولم يشر إليها كل من خليفة بن خياط ، والأزدي ، والطبري الذي أشار فقط إلى حصن سمالو .

٨- الغنائم الكثيرة التي حصل عليها هارون الرشيد من هذه الصائفة ، والتي أشار إليها جميع أصحاب تلك النصوص باختلاف في تقديرها وعدها .

٩- استسلام أهل الحصن كما أشار إلى ذلك كل من الطبري وابن الأثير ولم يذكره خليفة بن خياط ولا الأزدي ولا ابن كثير .

وأعود إلى طريقة فتح هذا الحصن بعد التعرف عليه . يمكن القول أن هذا الحصن يقع في منطقة عميقة من الأراضي الرومية بدليل توغل هارون الرشيد فيها وقطعه مسافات بعيدة ، ولما وصله هارون الرشيد بدأ بحصاره ولمدة بلغت ثمانية وثلاثين يوماً ليلاً نهاراً ، وهذا يدل على حصانة ومكانة هذا الحصن ، وشدة مقاومة أهله . ولما طال هذا الحصار وأدى بهم إلى الجوع والعطش قرر أهله تسليمه للمسلمين فما هي الشروط التي طلبها أهل الحصن ؟ وما هي الشروط التي اشترطها المسلمون ؟ سأحاول تتبعها في جميع هذه النصوص وأوضحها :

أن من يقرأ النص الأول عند خليفة بن خياط والنص الثاني عند الأزدي لا يجد أثراً لهذه الشروط ، ويفهم من النصين أن المسلمين استولوا على الحصن عنده ، ولذا فقد أصاب هارون الرشيد سبايا كثيرة والسبايا لا تكون إلا عندما يقتل الرجال ، وتبقى النساء بلا حام أو مدافع عنها ، ومما يزيد من سلامة رأي ما ذكره عن الغنائم الأخرى وهي : الخرثيا ، والامتعات وكان المسلمون قد نهبوا هذا الحصن نهباً لأنه فتح عنوة بعد قتال ومقاومة .

ويشير الطبري إلى ما ذهبت إليه من استنتاج عن فتح هذا الحصن عنوة بعد تخريب لها ، وعطش ، وجوع أصاب أهلها ، وبعد قتل ، وجراحات حلت بالمسلمين، غير أنه يعود فيبين شروط أهل الحصن والتي تفهم على النحو التالي :

١- ألا يقتلوا ، ومعلوم أنه في حالة القتال الشديد وتعنت المحاصرين كان القتل صبراً من نصيب المقاتلين فضلاً عن السبي .

٢- ألا يرحلوا عن حصنهم ، بل يبقوا فيه دون إجلاء وتهجير ، ومعلوم أن هذه الحالة كانت تنطبق على من يقاوم أو يشكل خطراً على الجيش المهاجم .

٣- ألا يفرق بينهم ، وهذا أمر صريح في عدم سبي النساء والذرية وإبعادها عن ذويها أولاً ، ثم أن لا يكون منهم أسرى تفرق أفراد الأسرة عن بعضها والأب عن أسرته .

ومقابل ذلك فإن المسلمين قبلوا بذلك ، وأعطوا المحاصرين في الحصن ما أرادوا، وهذا يؤيد ما ذهبت إليه من أن الحصن لم يفتح عنوة ولا يعطى الأمان إلا لأهل الحصون التي ترغب في الصلح . ويدفعني ذلك إلى القول بأن المسلمين قبلوا بهذا الصلح ربما مقابل أموال يؤديها أصحاب الحصن ، وهذا ما يبدو واضحاً عند ابن الأثير من أن الحصن فتح بالأمان ووفي لهم ، وعند ابن كثير بقوله : وغنموا أموالاً جزيلة جداً .

كانت نتائج هذه الصائفة واضحة في النصوص فيفهم ضمناً أن إصابة السبايا الكثيرة لا يكون إلا بعد النصر كما يظهر عند خليفة بن خياط ، وكذلك عند الأزدي، أما عند الطبري وابن الأثير وابن كثير فإن استعمال جملة فتحها الله فتعني أن النصر قد تحقق ، وما كانت الغنائم التي حصل عليها المسلمون إلا نتيجة النصر أيضاً .

ولو نظرنا إلى الغنائم لوجدناها متنوعة الأصناف وتتمثل في الآتي :

١- السبايا وهي النساء والبنات التي تؤخذ في الحروب أما بعد قتل المقاتلة من الأعداء ، أو بالاختطاف لما لم يعد لهن من يدفع عنهن ، أو يقدمن فدية للقوة المهاجمة ،و تبدو هذه الغنائم واضحة عند خليفة بن خياط ، وعند الأزدي في النص الثاني ، ولم تذكر عند الطبري ، ولا ابن الأثير ، ولا ابن كثير .

٢- الأمتعة : والتي اقتصر ذكرها في نص خليفة بن خياط ولم ترد في النصوص الأخرى ، ويدل عليها معناها من الخُرثيا والأمتعات ولم تبين أنواعها وإلا وصفت وصفاً دقيقاً .

٣- الأموال : انفرد بذكر كلمة الأموال الجزيلة ابن كثير ، ولم يذكر قيمتها أو نوعها ومعروف أن أكثر ما كان يستعمل في تلك الحقبة الذهب والفضة .

٤- الغنائم : ذكرها خليفة بن خياط بأنها : من السبايا ، والخرثيا ، والأمتعات ، ونجد الأزدي بالسبي ، والغنائم ، بينما نجد الطبري لم يذكرها ولم يشر إليها وسار على منهجه ابن الأثير بينما ذكر ابن كثير الأموال الجزيلة .

أما الخسائر فإننا نجد خليفة بن خياط لم يشر إليها عند كل من الطرفين، ونرى الطبري يشير إليها إشارة مبهمة عند المسلمين وهي اصابات ، وقتل ، وعند أعدائهم لم يشر إلى شيء من ذلك ، وسار على نهج خليفة بن خياط الأزدي ، فلم يشر إليها من قريب أو بعيد ، وأشار ابن الأثير إلى سلامة المسلمين إلا من قتل ، وسار ابن كثير على منهاج خليفة بن خياط بعدم الإشارة إلى ذلك .

الصائفة الثالثة : **صائفة الروم** : حدثت هذه الصائفة في شهر شعبان سنة ١٨٧هـ، ومكانها أرض الروم لتحقيق أهداف منها : مدينة قرة[١] ، وحصن سنان[٢] ، وقائد هذه الصائفة القاسم بن هارون الرشيد الذي تولى العواصم يعني عواصم الثغور هذه السنة[٣] .

---

(١) مدينة قرة : مدينة بأرض الروم كا يفهم من النصوص ولم أعثر عليها وهي غير التي ذكرها ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٣٣٥ . والبكري : معجم ما استعجم ، ١٠٠٦ ، ١١٠٥ .

(٢) حصن سنان : حصن في بلاد الروم فتحه عبد الملك بن مروان ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢ / ٢٦٤ ، ومدينة قرة قريبة منه حسب سير الفتح الواردة في (ح ١) .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤ / ٤٧٧ ، وابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٠١ .

تناول هذه الصائفة خليفة بن خياط فقال : (وفيها وجه أمير المؤمنين هارون ابنه القاسم على صائفة الروم ومعه عبد الملك بن صالح وأهل الثغور ، فدخل درب الصفصاف[1] حتى أتى قرة ، فأرسل إليه نقفور يسأله أن ينصرف ويعطيه ثلاثمائة وعشرين أسيراً من المسلمين ففعل وانصرف)[2] .

وذكر هذه الصائفة الطبري بقوله : (وفيها) أغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة فوهبه لله قرباناً له ووسيلة وولاه العواصم)[3] .

ويحدد ابن الأثير الشهر الذي أغزا هارون الرشيد ابنه ، ويعلمنا عنها بقوله : (وفي هذه السنة دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم فأناخ على قرة وحصرها ، ووجه العباس بن جعفر بن محمد الأشعث فحصر حصن سنان حتى جهد أهلها ، فبعث إليه الروم ثلاثمائة وعشرين أسيراً من المسلمين على أن يرحل عنهم بأجابهم ورحل عنهم صلحاً ، ومات علي بن عيسى في هذه الغزاة بأرض الروم)[4] .

ويذكر ابن كثير هذه الصائفة بقوله : (وفيها بعث الرشيد ولده القاسم على الصائفة ، وجعله قرباناً ووسيلةً بين يديه ، وولاه العواصم ، فسار إلى بلاد الروم فحاصرهم حتى افتدوا بخلق من الأسارى يطلقونهم ويرجع عنهم ففعل ذلك)[5] .

تبدو هذه الصائفة بأنها تحمل كثيراً من الاختلاف في آراء من تناولها والتي سأبينها بعد بيان أوجه الاتفاق بينهم كما يلي :

---

(١) درب الصفصاف : طريق الصفصاف وهي كورة بأرض الروم من ثغر المصيصة ، ياقوت الحموي : مصدر سابق، ٣/ ٤١٣ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٤٥٨ .

(٣) الطبري : مصدر سابق ، ٤ / ٤٧٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥ / ١١٨ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٠١ .

أولاً : أوجه الاتفاق :

١- اتفق أصحاب النصوص على السنة التي غزا فيها القاسم ابن الرشيد هذه الصائفة، وهذا دليل على دقتهم ودقة تاريخ هذه الغزوة ، وزاد في التأكيد ابن الأثير بذكر الشهر وهو شهر شعبان .

٢- اتفاق أصحاب النصوص على اسم قائد هذه الحملة الصائفة .

٣- اتفاق جميع كتاب هذه النصوص على عدم ذكر خسائر الطرفين .

ثانياً : أوجه الاختلاف :

١- ذكر خليفة بن خياط أن القاسم قد سلك طريق الصعصاف وخالفه في ذلك كل من الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير ، فلم يذكر الدرب الذي سلكه .

٢- ذكر خليفة بن خياط أن محطة القاسم كانت مدينة قرة ، ووافقه في ذلك ابن الأثير ، بينما لم يشر الطبري ولا ابن كثير إلى هذه المدينة .

٣- لم يشر خليفة بن خياط إلى حصن سنان ، ولا الطبري ، ولا ابن كثير ، بينما انفرد بذكر الحصن ابن الأثير .

٤- لم يذكر خليفة بن خياط اسم القائد الذي حاصر الحصن ، ولا الطبري ، ولا ابن كثير بينما نجد ابن الأثير يجعل حصاره على يد العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث .

٥- جعل خليفة بن خياط أمر اتصال الروم بقيادة نقفور مع القاسم ويفهم من نص ابن الأثير أن هذا الاتصال تم مع العباس بن جعفر ، في الوقت الذي لم يشر إلى هذا الاتصال الطبري ، وأشار ابن كثير إلى الفداء دون ذكر اسمه .

٦- سكت خليفة بن خياط عن أمر توليه القاسم للعواصم وكذلك ابن الأثير بينما أشار إلى هذه التولية كل من الطبري وابن كثير .

٧- ذكر خليفة بن خياط عدد الأسرى المسلمين بأنه ثلاثمائة وعشرين أسيراً وكذلك ابن الأثير ولم يعدهم ابن كثير بل أشار إلى أنهم خلق كثير ولم يبين الطبري ذلك .

٨- لم يشر خليفة بن خياط إلى أن الخليفة هارون الرشيد قد جعل ابنه قرباناً ووسيلة وكذلك ابن الأثير ، بينما ذكر هذا القربان الطبري وابن كثير .

ننتقل الآن إلى سير هذه الصائفة وطريقة القتال فيها وإلى نتائجها . فمعلوم من خلال النصوص أن بعض أصحابها قد أشار إلى سلوك القاسم بن الرشيد درب الصفصاف . حتى وصل إلى مدينة قرة . ثم انتقل أو أرسل نائباً عنه إلى حصن سنان ، ويبدو من خلال النصوص السابقة أنه حاصر مدينة قرة وفتحها عند بعض أصحاب هذه النصوص ، وأن الفداء الذي تم نتيجة حصار حصن سنان كما أشار إلى ذلك ابن الأثير الذي انفرد بذلك ومن خلال استعراض نصوص خليفة بن خياط ،والطبري وابن كثير ضمناً إلى أن الفداء كان نتيجة الحصار ، ومما سبق يبدو أن الحصار كان وسيلة القتال على هذه المدينة أو الحصن ولم يظهر فيه أثرٌ للقتال كالصوائف السابقة، ويبدو أنه لم يحدث قتال حوله بدليل عدم ذكر الخسائر للطرفين في هذه الصائفة أولاً ، وعدم ذكر الوفيات أو القتلى ما عدا موت علي بن عيسى في أرض الروم وربما في موته وفاة طبيعية ثانياً ، وقد انفرد بها ابن الأثير دون غيره .

الصائفة الرابعة : صائفة طغج بن جف[1] : حدثت هذه الصائفة في بلاد الروم وكانت على وجه الخصوص في منطقة طرايون[2] أو طرابزون[3] وكانت بقيادة طغج بن

(١) طغج بن جف : قائد تركي من قادة خمارويه بن أحمد بن طولون التركي ونائبه في بلاد الشام زمن الدولة الطولونية .

(٢) طرايون : منطقة تقع في بلاد الروم كما يفهم من النص التالي .

(٣) طرابزون : هي طرايون وهكذا وردت عند ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٦ / ٧٨ .

جف بأمر من خمارويه[1] حاكم مصر، وكانت هذه الصائفة يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة سنة ٢٨١هـ [2] ، وفتحت فيها مدينة ملودية[3] أو بلودية[4] .

تناول هذه الصائفة الطبري فقال : (وفيها دخل طغج بن جف طرسوس لغزاة الصائفة من قبل خمارويه يوم الخميس للنصف من جمادي الآخرة فيما قيل . وغزا فبلغ طراليون وفتح ملودية)[5] .

وذكر هذه الصائفة ابن الأثير بقوله : (وفيها دخل طغج بن جف طرسوس لغزو الصائفة من قبل خمارويه بن أحمد بن طولون فبلغ طرابزون ، وفتح بلودية في جمادى الآخرة)[6] .

تناول هذه الصائفة كل من الطبري وابن الأثير ويبدو الاتفاق بينهما واضحاً، وسأقوم بتوضيحه بصورة جلية بعد أن أبين أوجه الخلاف بينهما ، وأبين المعلومات ونقصها على النحو التالي :

أولاً : أوجه الاختلاف :

١- ذكر الطبري اليوم وهو يوم الخميس للنصف من جمادي الآخرة بينما اكتفى ابن الأثير بذكر الشهر دون ذكر اليوم ، أو أي يوم كانت من شهر جمادى الآخرة .

٢- علق الطبري على هذا التاريخ بقوله فيما قيل ، ولم يبد ابن الأثير أي رأي أو تعليق بل اكتفى بذكر الشهر كما أسلفت .

---

(١) خمارويه بن طولون التركي : صاحب مصر وبلاد الشام ، استلم الحكم بعد وفاة أبيه وعمره عشرون سنة ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٣ / ٤٤٦ — ٤٤٨ .

(٢) ذكر ذلك ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥ / ٣٥٠ . وابن الأثير : مصدر سابق ، ٦ / ٧٨ .

(٣) حلورية : مدينة رومانية لم أعثر عليها .

(٤) هكذا وردت عند ابن الأثير .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥ / ٣٥٠ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٦ / ٧٨ .

٣- الاختلاف في اسم المنطقة والمدينة فهي طرايون وملورية عند الطبري وطرابزون وبلودية عند ابن الأثير .

ثانياً : أوجه الاتفاق :

١- اتفاق المؤرخين على ذكر السنة والشهر لهذه الشاتية ، وهي سنة ٢٨١ وشهر جمادى الأولى منها .

٢- الاتفاق على القائد واسمه طغج بن جف الذي قاد هذه الصائفة .

٣- الاتفاق على أن هذه الصائفة كانت بأمر من خمارويه حاكم مصر والشام زمن الدولة الطولونية ، أو على أسوء الاحتمالات بمعرفته .

٤- الاتفاق على المكان الذي بلغه ووصل إليه وهو طرايون ، كما ذكر الطبري وباختلاف الرسم طرابزون .

٥- اتفاق المؤرخين على الفتح وهو فتح مدينة ملودية عند الطبري ، أو بلودية عند ابن الأثير والاختلاف في كتابة الأسماء .

٦- اتفاق المؤرخين على استعمال لفظ دخل وكأنما كان هذا القائد يسير في مناطق عديدة تحت سيطرته ودون أي عناد أو مقاومة .

٧- الاتفاق على مكان دخوله وهو مدينة طرسوس والتي سبق وأن أشرت إليها .

ثالثاً : المعلومات :

حمل هذان النصان معلومات واضحة عن مكان هذه الصائفة ، وتاريخها، وقائدها والأماكن التي وصلت إليها ، كما ألمحت إلى ذلك عند المقارنة بين النصين عندما بينت أوجه الاختلاف والاتفاق ، وأبين فيما يلي المعلومات التي يحتاج إليها الباحث عند تناول هذه الصائفة ، ومنها :

١- لم يوضح في النص دور خمارويه في إعطاء الأمر لهذه الصائفة صراحة ولا دوره في إعدادها والأمر بتحركها إلا ما فهم منها من قبل خمارويه .

٢- لم يبين فيها الطريق التي سلكها قائد هذه الصائفة بجيشه حتى وصل إلى هدفه ، ولم يبين معالم طبغرافية دالة على ذلك .

٣- لم تظهر فيهما طريقة القتال التي اتبعت ، هل اتبع في عملية الفتح طريقة الحصار ، أم طريقة القتال المباشر والاشتباك .

٤- لم يظهر في هذين النصين معدات القتال أو الحصار المستعملة من أجل الفتح .

٥ — لم يظهر في النصين طريقة الفتح هل كانت صلحاً وأماناً أم قتالاً وعنوة .

٦- لم يبد أي أثر لنصوص أخرى تتعلق بطريقة معاملة أهل هذه المدينة .

٧- لم يحدد عدد قوات هذه الصائفة من المسلمين ولا طريقة إعدادها ولا نوعية العساكر الذين ساروا مع طغج بن جف .

٨- لم نجد في هذين النصين أثراً لقوات العدو في هذه المدينة .

٩- لم تظهر مقاومة أهل هذه المدينة ولا طريقة دفاعهم عنها .

١٠- لم يشر أيٌّ من هذين النصين إلى خسائر العدو ، ولا إلى خسائر المسلمين من قتلى وجرحى وأسرى .

١١- لم تلحظ للغنائم أثراً في هذين النصين ، ولا أي نوع من السبي والأموال ونحو ذلك .

١٢- لم يصف كلا النصين حالة المسلمين بعد الفتح ولا كيف رجعوا؛ هل رجعوا سالمين غانمين ؟ أم كان بينهم قتلى وجرحى ؟

لقد تمت هذه الصائفة كغيرها من الصوائف ، غير أنها كانت على درجة كبيرة من الأهمية ، فهي تصور جانباً من جوانب الأوضاع السياسية العباسية، فقد

قام بها أحد حكام الدولة الطولونية ، دون الرجوع إلى الخليفة العباسي وهذا يدل على أوضاع التجزئة التي كانت عليها حال الخلافة العباسية ، وبداية انسلاخ مصر عن جسم الخلافة مثلها مثل حلب ، والحدود الرومية في منطقة حلب ، وغيرها من الولايات الإسلامية .

وبذلك أنهي الكتاب بعون الله وقدرته

العبد الفقير إلى عفو ربه الدكتور عبد الرحيم محمد السلوادي

بتاريخ ١٧ / ٩ / ١٤٢٧هـ الموافق ١٠ / ١٠ / ٢٠٠٦ م

والله أسأل أن يكون في ميزان حسناتي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المصادر والمراجع

أ ـ قائمة المصادر :

١- القرآن الكريم ، المدينة المنورة ، مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

٢- ابن الأثير ، محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، أبو الحسن (ت ٦٣٠ / ١٢٣٢) . الكامل في التاريخ (تحق) مجموعة من العلماء .

٣- ابن أعثم ، أحمد بن محمد بن علي (ت ٣١٤ / ٩٢٦) . الفتوح . بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٦ / ١٩٨٦ . ٤ مج .

٤- ابن حبان ، محمد بن أحمد التميمي السبتي ، أبو حاتم (٣٥٤ / ٩٦٥) ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء (تحق) عزيز بيك وآخرون . بيروت مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١ ، ١٤٠٧ / ١٩٦٩ . ١ مج .

٥- ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني المصري الشافعي (ح ٧٧٣ — ٨٥٢ / ٣٧١ — ١٤٤٨) . الإصابة في تمييز الصحابة ، القاهرة، الكُتبخانة الخديوية المصرية للسنة النبوية ، ط١ ، ١٣٢٨ . ٤ مج .

٦- ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، أبو العباس (ح٦٠٨ — ٦٨١ ، ١٢١١ — ١٢٨٢) . وفيات الأعيان (تحق) إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ط١ ، ١٣٩٧ ، ١٩٧٧ . ٨ مج .

٧- ابن سعد ، محمد بن سعد الأزهر ، أبو عبدالله (ت ٤ جمادى الآخرة ٢٣٠، فبراير ٨٤٤) . الطبقات الكبرى (تحق) إحسان عباس . بيروت ، دار صادر للطباعة ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٠ ، ١٩٧٨ . ٧ مج .

٨- ابن عذاري ، محمد المراكشي ، أبو عبدالله (ت ٦٩٥ / ١٢٩٥) . البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب (تحق) ج . س كولان وإ . ليفي بروفنسال . بيروت- لبنان ، دار الثقافة ، ط٢ ، ١٤٠٠ / ١٩٨٠ . ٤ مج .

٩- ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم الدينوري ، أبو محمد ، (ح ٢١٣ - ٢٧٦ ، ٨٣٨ - ٨٨٩) المعارف (تحق) ثروة عكاشة . القاهرة ، دار المعارف ، ط ٤ ، ١٩٧٧ م، ١ مج .

١٠- ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن ضو بن درع (ح ٧٠١ - ٧٧٤ ، ١٣٠١ - ١٣٧٣) . البداية والنهاية (تحق) أحمد أبو ملحم وآخرون . بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية ط٥ ، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ .

١١- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (ح ٦٣٠ - ٧١١ هـ) . لسان العرب (تصح) أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد صادق العبيدي . بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي ، و مؤسسة التاريخ العربي ، ط١ ، جديدة ومنقحة ، ١٤١٦ / ١٩٩٦ ، ١٨ مج .

١٢- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام المعافري ، أبو محمد (ت ٢١٣ / ٨٢٨) . السيرة النبوية (تحق) طه عبد الرؤوف سعد . القاهرة ، الكليات الأزهرية (مط) الفنية للطبع والنشر والتجليد ، (ط) جديدة (لا . ت) . ٤ مج .

١٣- ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩ هـ) . تاريخ ابن الوردي . النجف ، المطبعة الحيدرية ، ط٢ ، ١٣٨٩ / ١٩٦٩ . ٢ مج .

١٤- أبو داود ، سلمان بن الأشعث السجستاني (ح ٢٠٢ - ٢٧٥ / ٨٨٨ - ٨٢٨) .

١٥- أبو زكريا ، يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الأزدي (ت ٣٣٤ / ١٩٤٥) . تاريخ الموصل (تحق) دكتور علي حبيبة . القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (لا . ط) (١٣٨٧ — ١٩٦٧) .

١٦- البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برذويه ، أبو عبدالله (ح ١٩٤ — ٢٥٦ ، ٨٠٩ — ٨٦٩) . صحيح البخاري ، استانبول ، المكتبة الإسلامية، ١٩٨١م ٤ مج . التاريخ الصغير (تحق) محمود إبراهيم زايد . بيروت، لبنان – دار المعرفة ، ط١ جديدة مصححة ، ١٤٠٦ / ١٩٨٦ . ٢ مج .

١٧- خليفة بن خياط بن شباب العصفري ، أبو عمر (١٦٠ — ٢٤٠ / ٦٧٧ — ٧٥٤) . تاريخ خليفة بن خياط (تحق) أكرم ضياء العمري . الرياض ، دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢ ، ١٤٠٥ ، ١٩٨٥ . كتاب الطبقات (تحق : أكرم ضياء العمري . الرياض دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٠٢ / ١٩٨٢ م .

١٨- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايزمار التركماني (ت ٧٤٨ / ١٣٤٧) . سير أعلام النبلاء (تحق) شعيب الإرناؤوط ، وحسين أسد ، بيروت، ط١ ، ١٤٠٩ ، ١٩٨٨ . ٢٥ مج .

١٩- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، أبو الفضل (ت ٩١١ / ١٥٠٦) تاريخ الخلفاء (تحق) قاسم الشماعي الرفاعي ومحمد العثماني . بيروت ، دار القلم، ط١، ١٤٠٦ / ١٩٨٦ . الجامع الصغير من حديث البشير النذير (تحق) محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، (لا . ت) . ٢مج .

٢٠- الطبري ، محمد بن جرير ، أبو جعفر (ح ٢٢٤ — ٣١٠ / ٨٣٩ — ٩٢٣) .تاريخ الأمم والملوك ، بيروت لجنة إحياء التراث ، ومؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ١٤٠١ / ١٩٨٧ . ٦ مج .

٢١- القضاعي ، محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي ، أبو عبدالله (ت ٤٥٤ / ١٠٦٢) . عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف (تحق) عبد الرحيم محمد عبد الحميد علي . دار الينابيع للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧ .

٢٢- الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، أبو المنذر (ت ٢٠٤) . جمهرة النسب (تحق) الدكتور ناجي حسن ، بيروت ، المزرعة ، ط١ ، ١٤١٣ / ١٩٩٣ .

٢٣- الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد ، أبو عبدالله (ت ٢٠٧ / ٨٢٢) . المغازي (تحق) سارسدن جونسن . بيروت – مكتبة عالم الكتب ، ط٣ ، ١٤٠٤ / ١٩٨٤ . ٣ مج .

٢٤- ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي ، أبو عبدالله (٦٢٦ / ١٢٢٨) . معجم البلدان . بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٩ / ١٩٧٩ . ٥ مج .

ب ـ قائمة المراجع :

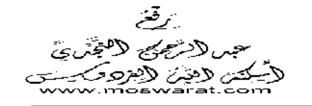
١- السلوادي ، عبد الرحيم محمد عبد الحميد علي السلوادي . معجم الأعمال العسكرية الإسلامية . عمان – الأردن ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٥ / ٢٠٠٤ .

٢- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (جمع وترتيب ، لفيف من المستشرقين ، ليدن ، مكتبة بريل في مدينة ليدن ، ١٩٣٦) . ٧ مج .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الفهارس

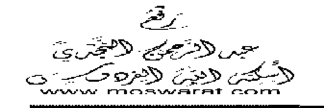


فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	السورة	رقم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً	الانفال	٨	١١	١٢
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا	الروم	٣٠	٢٠	١٩
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ	التحريم	٦٦	٩	٢٢
انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ	التوبة	٩	٤١	٢٢
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ	الحجرات	٤٩	١٥	٢٢
وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ	التوبة	٩	٨٦	٢٣
قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ	التوبة	٩	٢٤	٢٣
فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ	التوبة	٩	٨١	٢٣
سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ	الفتح	٤٨	١١	٢٤
حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ	التوبة	٩	١١٨	٢٤
إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا	الأنفال	٨	١٥	٢٤
وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ	الانفال	٨	١٦	٢٤
وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم	الأنفال	٨	٦٠	٢٧
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا	آل عمران	٣	٢٠٠	٢٧

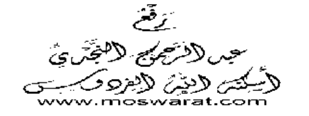


فهرس الأحاديث النبوية



فهرس الأشعار

طرف البيت	القافية	حرف الروي	وزنه	القائل	الصفحة
إذا نزل ... الشتاء	الهمزة	تاء	الوافر	مجهول	١٠
حيثما .... شتو	الواو	تو	الرمل	طرفة بن العبد	٩
كأن ... الثغر	الراء	غر	الطويل	ذو الرمة	١٠
كانت ... وتتعب	البا	عب	الكامل	عبد الرحيم السلوادي	٥
فتصيفنا .... العجلوم	الميم	جوم	الكامل	مجهول	١١
من يك ... مشتي	الياء	تي	السريع	طرفة بن العبد	١٠، ١١
نحن الذين ... أبدا	الألف	دا	السريع	المهاجرين والأنصار	٢٥
ولقد ... الصيف	الفاء	يف	الكامل	أبو كبير الهذلي	١١
يا يوم ... الحلب	الباء	لب	بسيط	أبو تمام	٢١



فهرس المحتويات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com



الشواتي و الصوائف

في الإسلام

ISBN 978-9957-05-158-7 (ردمك)